

تقـــــــديم

فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

فضيلة الشيخ / محمد صفوت الشوادفي

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

دار ابن رجب

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الناشر
دار ابن رجب
فارسكور . دمياط ت : ٤٤١٥٥٠ / ٠٥٧

* تقديم *

بقلم فضيلة الشيخ / **محمد صفوت نور الدين**
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . أما بعد :

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)** ﴾ [٩ ــ ١١ من سورة الجمعة]

إن للإسلام دعائم وركائز، و من دعائم الإسلام المساجد، ومن دعائم المساجد خطبة الجمعة فإن المساجد بيوت الله، يدخلها المسلم متطهرا مستقبلا القبلة يتجه إلى ربه مكبرا مسبحا تاليا للقرآن داعيا فيعلم أن له من يحميه إن ضاقت السبل واتصلت الحلقات فإذا استقبل ربه وسأله ودعاه ،فإنه سبحانه يتداركه برحمته وعونه، وأهمية المساجد كثيرة فوق الحصر والعد . وخطبة الجمعة أحد أهم دعائم المساجد فالحمد لله أن جعلها فريضة أمر المسلم بالسعى للصلاة إذا نودى إليها من يوم الجمعة ونهى النبى ﷺ عن كل ما يشغل فى ذلك الوقت . وأمرهم رب العزه بالاتصال والسماع وقال لهم سبحانه ﴿ **قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ وخطبة الجمعة هى أدنى ما يلزم المسلم بحضوره من مجالس العلم حتى يتعلم ما يصحح به عمله

واعتقاده ،لذا وجب على الخطيب أن يراعى أن من بين الحاضرين والكثير منهم من لا يشهد موعظة سواها ولا يحضر درس علم غيرها وأنه ــ وقد أنصت الناس له بأمر الله ــ مؤتمن على تلك الكلمة التى يقولها والموعظة التى يقدمها .

إلا أن الكثير من الخطباء لم يراعوا ذلك فانصرفوا عن تعليم الناس أمر دينهم (اعتقادا وتعبدا وسلوكا) وتوجهوا أحد وجهتين .

الوجهة الأولى: حرصوا على جمع القصص المسلية والحكايات الجذابة حتى يجذبوا أسماع الناس لقولهم دون أن يخرجوا من ذلك بفوائد تربوية ولا تعلم للمسائل الاعتقادية أو التعبدية وأخرجهم ذلك إلى البحث عن الغرائب والفرائد فركبوا الصعب وبحثوا عن المختلقات والمكذوبات والموضوعات وأشاعوا بين الناس الحكايات المنكره والأحاديث الباطلة .

الوجهة الثانية: شغلهم المظالم التى وقعت عن الشرك والكفر والبدعة وعن جهل الناس بدينهم صلاة وزكاة وصوما وحجا وذكرا ،فلم يعلِّموا الناس من ذلك شيئا، إنما جعلوا المنابر نشرات إخبارية لا يتعلمون فيها أمر دينهم فصار ذلك الذى لا يحضر إلا الجمعة يظن أن دينه أن يعرف هذه الأخبار ،وأن يجمع هذه الحوادث ولما كان الكثيرين رواة هذه الأخبار لا يتحرون الصدق صارت المنابر عرضة لرواية الكذب وإشاعة البلبلة وإحداث الفوضى بين الناس .

واليوم نسعد بأن نقدم لإخواننا المسلمين الخطب المسموعة مكتوبة بقلم (فاكهة الدعاء) الشيخ الشاب بل الشاب الشيخ **محمد حسان** صاحب العبارة الرشيقة والكلمة الموثقة والحديث الصحيح والرواية المنضبطة والقراءة المؤثرة والبسمة البهية والغضبة الصادقة نحسبه كذلك

ولا نزكى على الله أحدا والله حسيبنا وحسيبه . ولعل هذه بداية سلسلة تعليمية وعظية لنماذج من الخطب التى نأمل أن يتربى عليها المسلمون فى بيوتهم، فلقد زرت الكثير من المسلمين فى الشرق والغرب ورأيت أثر الشريط والرسالة وأثر الخطبة والكلمة فى إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق وإرشادهم بعد تفككهم وبعدهم عن دينهم وانصرافهم

وأوصى الأخ الحبيب الشيخ **محمد حسان** بالمزيد على المنهج الفريد من جمال الموعظة وتوثيق الكلمة ،كما أوصى أخى القارئ بحسن الاستقبال وأن يكون مثل هذه الخطب مفتاحا له يفتح له باب القراءة ليتعلم، وعليه أن يعلم أن أصل الدين فى اعتقاد أركانه ستة ، وإسلام أركانه خمسه، وسلوك مداره على أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فعليه أن يتعلم ذلك ليبقى على بصيرة من سلوكه وعلمه وعمله، فالأجل قريب والحساب بعده فليكن مستعدا .

كما أوصى الأخ الناشر بحسن الإخراج وجمال الطبعة ودقة المراجعة والله يوفق الجميع لما فيه خير الإسلام وصالح المسلمين .

والله من وراء القصد

وكتبه فقير عفو ربه ورضا مولاه

محمد صفوت نور الدين

العاشر من رمضان ١٤١٦هـ

* تقديم *

بقلم فضيلة الشيخ / **محمد صفوت الشوادفى**

رئيس تحرير مجلة التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد . . .

فإن الله عز وجل قد خلق عباده متفاوتين فى العلم والفهم وسائر شئونهم ، قال تعالى ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ . واختص الله بعض عباده بالفهم فى مسائل معينة كما فى قوله : ﴿**ففهمنا ها سليمان** ﴾ !كما تفضل على بعض عباده بنعمة الحكمة فقال ﴿ **يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً** ﴾

وجعل الله عز وجل الدعاة إليه العاملين بعلمهم هم أحسن الناس قولاً ، وأهداهم سبيلاً، وأقومهم طريقاً ،وأكرمهم سلوكاً، وذلك لما اختصهم الله به من الفضل والكرامة والعلم والإمامة ، فجعل قلوبهم أوعية لنصوص الشريعة، وعلومها، ونورا يضئ الطريق لقلوب غيرها ! من أجل ذلك فإن رسول الله ﷺ قد جعل فقههم علامة على إرادة الخير بهم ! ! فقال : « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين** » .

والكتاب الذى بين أيدينا الآن هو مجموعة كلمات خالصة مخلصة نادى بها مؤلفه جزاه الله خيرا على قومه من فوق أعواد المنبر ، وهو يعمل جاهدا على أن يوقظ الناس من سباتهم وينبههم من غفلتهم بلسان لا يعرف الملل أو الكلل .

وصاحب هذا التأليف غنى عن التعريف ! فقد رزقه الله القبول فى الشرق والغرب، وأنزل الله محبته على قلوب عباده المؤمنين، واختصه باسلوب يجمع القلوب، ويثير كوامن الإيمان وقد كان ومازال ـ أكرمه الله ـ يبذل جهدا متواصلا فى الدعوة إلى الله حتى تقطعت أحبال صوته فى سبيل الله ! فنسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الكتاب وسائر أعماله الصالحة فى ميزان فضيلة الأخ الشيخ **محمد حسان**، وأن يجزيه خيراً على ما قدّم ويقدّم من دعوة صادقة موفقة إلى الله، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه
صفوت الشوادفى
رئيس تحرير مجلة التوحيد

* تقديم *

فضيلة الشيخ / عبدالحميد كشك

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله · واحد فى ذاته لاقسيم له ،واحد فى أفعاله لا شريك له ، واحد فى صفاته لا شبيه له ، سبحانه ، علا فقهر ، وملك فقدر وبطن فخبر ·

إلهى :

ما فى الوجود سواك رب يعبد — كلا ولا مولى هناك فيقصد

يا من له عنت الوجوه بأسرها — رهبا وكل الكائنات توحد

أنت الإله الواحد الحق الذى — كل القلوب تقر وتشهد

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وعظيمنا محمداً رسول اللَّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربى وسلامه عليه ·· ما هبت النسائم وماناحت على الأيك الحمائم ·· أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .لعلك أيها القارئ الكريم إذا ماطفت برياض هذا البستان ·· بستان الإسلام فى هذا السفر الكريم ، تلمح بعين الفؤاد ، ووعى القلب ما فيه من أصول العقائد وشعائر العبادات وشرائع المعاملات ، ومناهج السلوك ، وقيم الأخلاق ، ومبادئ الأحكام ، وقواعد النظام ما يجعلك تكوِّن باقة عبقة يفوح أريجها معطرا بشذا الجنان الفيحاء فى هذا الكتاب أيها القارئ الكريم ترى من المعاملات الإسلامية ما يجعلك تنشف عبير الإسلام الذى عالج البشرية بعلم وحكمة ، فكان

كالنسيم السارى يدفع الشراع دون أن تغرق المركب .

وسيجد القارئ الكريم فى ضفاف هذا الكتاب ما يشرح الصدر ويسعد الروح لاسيما أن المؤلف صاحب تجربة والتجربة خير شاهد .

لقد جاء هذا الكتاب فى عصر طغت فيه الماديات على المعنويات حتى قال بعض المستشرقين : « اخلعوا الحجاب عن المرأة وغطوا به المصحف ولا تجزعوا من بنائهم للمساجد ، فدعوهم فليبنوا ما شاءوا ما دام أبناؤهم يتعلمون فى مدارسنا » .

نعم إن المسلمين فى مسيس الحاجة إلى كلمة قئول ملتزم لا يخالف قوله عمله . إنك أيها القارئ الكريم أثناء قراءتك هذا الكتاب ستجد نفسك كالطائر الغريد ينتقل من فنن إلى فنن ومن غصن إلى غصن وكأنك تهب عليك نسمات تحمل فى ثناياها قطرات الندى معطرة بأريج الجنة ، وفى هذا فليتنافس المتنافسون ، وفى ذلك فليعمل العاملون .

وجزى اللّه الداعية الإسلامى الكبيرالشيخ **محمد حسان** خير ما جزى به عباده الصالحين ، وحسبه قول رسول اللّه ﷺ « **إن العلماء ورثة الأنبياء** » (١) .

وصلى اللّه وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

عبدالحميد كشك

---

(١) حسن : [ص . الترغيب : ٦٨] رواه أبو داود رقم ٣٦٤١ . ٣٦٤٢ فى العلم باب الحث على طلب العلم ، والترمذى رقم ٢٦٨٣ ، ٢٦٨٤ فى العلم ، باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة ورواه أحمد ، وابن ماجة ، والدارمى ، وابن حبان فى صحيحه وغيرهم ، وحسنه شيخنا الألبانى فى صحيح الترغيب برقم ٦٨ وهو جزء من حديث مطلعه « **من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك اللّه به طريقا إلى الجنه** » .

بسم الله الرحمن الرحيم

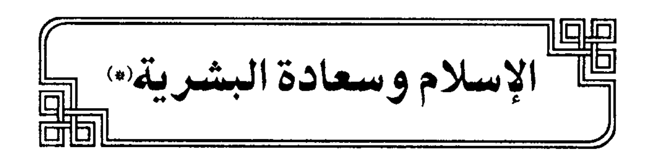
يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى(*):

« ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي كيف بك إن نجوا وهلكت؟!

فصحت بلسان وجدي: إلهي وسيدي إن قضيت علي بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي، صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذب من دل عليه» .

(*) صيدُ الخاطر ص ٣٢١ طبعة دار اليقين.

الخطبة الأولى:



الإسلام وسعادة البشرية(*)

الحمد لله الذى نور بكتابه القلوب.. وأنزله فى أوجز لفظ وأعجز أسلوب .. فأعيت بلاغتهُ البُلَغاء.. وأعجزت حكمتهُ الحكماء .. وأبكمت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وخليله، البشير النذير.. والسراجُ المزهر المنير.. خيرُ الأنبياء مقاما.. وأحسنُ الأنبياء كلاماً.

رافع الإِصْرِ والأغلال.

والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان.

مغضوب عليهم جفاة.. وضالون غُلاة.

فجاء بالدين الوسط وحذر من الزيغ والشطط وتركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، فاللهم أجزه عنا خير ما جزُيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصَلِّ اللهم، وسلم، وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد... فحيا الله هذه الوجوة الطيبة المشرقة وزكى الله هذه

الأنفس وشرح الله هذه الصدور وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال وأن يجمعنا وإياكم فى الدينا على طاعته وفى الآخرة فى جنته ودار كرامته.

أحبتى فى الله:

وسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية:

أولاً: الناس جميعاً يبحثون عن السعادة.

ثانياً: سعادة العالم بين الوهم والحقيقة.

ثالثاً: الإسلام وسعادة والبشرية.

رابعاً: السعادة الحقيقية ووسائلها.

أولا: الناس جميعا يبحثون عن السعادة

أحبتى فى الله.. ما من إنسان على ظهر هذه الأرض إلا وهو يبحث عن السعادة.. غاية يتفق فيها الخلق على اختلاف عقائدهم، وعقولهم، ومشاربهم ومبادئهم وغاياتهم .

فلو سألت أى انسان على وجه البسيطة عن أىِّ عمل قام به لأجابك على الفور بقوله : أبحث عن السعادة..، سواءٌ قالها بحروفها أم بمعناها.

فكلُ الناس يريدون السعادة ولكن كثيراً منهم يخطىءُ هذا الطريق.

* فكثيرٌ من الناس يظنُ أن السعادة الحقيقة فى جمع المال!!

وبداية فأنا لا أقلل أبداً من شأن المال.. بل إننى لعلى يقين جازم أن المال عصبُ الحياة.. وأن المال هو الذى يدير الآن دفة السياسة العالمية بلا نزاع.

وما أكرمَه من مال حينما تُحركه أيدى الصالحين والشرفاء.

وفى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والترمذى واللفظ له من حديث أبى كبشه الأنمارى رضى الله عنه وفيه أنه ﷺ قال:

«إنما الدينا لأربعةِ نَفَر: عبدٍ رزقَهُ اللَّه مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربَّهُ، ويصلُ فيه رحمه، ويعلمُ أن للَّه فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه اللَّه علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية للَّه، يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه اللَّه مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط فى ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل به رحمه، ولا يعلم للَّه فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه اللَّه مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، ووزرهما سواء»[1].

فإننا لا نقلل أبداً من شأن المال ونقرر أن المال سبب من أسباب السعادة.. لكن ليس كلُّ صاحبِ مالٍ سعيداً.

بل ربما يكون المالُ سبباً من أسبابِ التعاسة والشقاء فى الدينا والآخرة إذا لم يدرك صاحب المالِ غايته.

وكلكم يتذكرُ الآن معى قصة قارون الذى خرج على قومه فى زينته فى غاية السعادة حتى قال الناس إنه لذو حظ عظيم وكانت النتيجة كما تعلمون.

﴿فخسفنا به وبداره الأرض * فما كان له من فئة ينصرُونَهُ من دُونِ اللَّه ومَا كان من المنتصرين﴾[2].

* ويقفز إلى ذهنى الآن قصة معاصرة عجيبة تؤكد أن المال وحده

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٣٠٢٤] رواه الترمذى (٢٣٢٦) فى الزهد، وأحمد فى (المسند) (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، وابن ماجه (٤٢٢٨). وهو جزء من حديث «ثلاث أقسم عليهن...».

(٢) سورة القصص: ٨١.

لا يمكن أن يكون سبباً للسعادة، إنها قصة «كرستينا أوناسيس» ابنةُ الملياردير الشهير «أوناسيس» الذى يملك المليارات والجزر والأساطيل وشركات الطيران، ومات أبوها فورثت هذه الفتاة مع زوجة أبيها كلَّ هذه المليارات.

ومع ذلك فهل كانت سعيدة ؟!

والجواب . لقد تزوجت هذه الفتاة برجل **أمريكى** عاش معها شهوراً ثم طلقها أو طلقته.

ثم تزوجت بعده برجلٍ **يونانى** ثم عاش معها شهوراً فطلقها أو طلقته.

ثم تزوجت للمرة الثالثة برجل **شيوعى** روسى فتعجب كثير من الناس أن تلتقى قمة الرأسمالية مع قمة الشيوعية.

وعندما سألها الصحفيون قالت بالحرف الواحد: (ابحث عن السعادة).. وعاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته. **ثم تزوجت برجل فرنسى** وبعدها حضرت حفلاً كبيراً فى فرنسا وسألها الصحفيون هل أنت أغنى امرأة؟!!

فقالت: نعم أنا أغنى إمرأة ولكنى أشقى إمرأة!!

ثم عاش معها الفرنسى فترة وطلقها أو طلقته ثم وجدوها بعد ذلك جثة هامدة فارقت الحياة فى إحدى الشاليهات فى الأرجنتين.

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقة فى الشهرة .

وهذا قد يكون من أسباب السعادة وقد يكون كذلك من أسباب التعاسة والشقاء.

ولعلكم سمعتم وقرأتم ما ذكره بعضُ أهلِ الفنِ ممن تاب الله عليهم.

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية فى المنصب والجاه!!

وقد يكون المنصب سبباً من أسباب السعادة إذا اتقى صاحبُ المنصب

ربَّه جل وعلا وعلم يقيناً أن المنصب إلى زوال ولو دام لغيره ما صل إليه فنظر إليه على أنه أمانة كما قال النبى ﷺ لأبى ذر رضى الله عنه:

«يا أبا ذر إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذى عليه فيها»(١).

ولله درُّ ابن الخطاب رضى الله عنه الذى رآه عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً يجرى تحت حرارة الشمس المحرقة التى تكاد تذيب الحديد والصخور فينادى عليه عثمان: ما الذى أخرجك فى هذا الوقت الشديد الحرِّ يا أمير المؤمنين؟

فيقول عمر: بعيرٌ من إبل الصدقة قد ندَّ وأخشى عليه الضياع فأسأل عنه بين يدى الله جل وعلا!!

فقال عثمان: لقد أتعبت كُلَّ من جاء بعدك يا عمر!!

وهؤلاء ومن سار على دربهم هم الذين يسعدون بالمنصب فى الدنيا والآخرة.

وقد يكون المنصب سبباً من أسباب التعاسة والشقاء فى الدنيا بل والآخرة إذا نظر إليه صاحبه على أنه غاية ومِنْ ثَمَّ فهو يبذل من أجل هذه الغاية وقته وعقله وماله بل ودينه!!! ولا يحرص إلا على إرضاء من ولاَّه وإن خالف ذلك أوامر مولاه سبحانه وتعالى.

وفى الصحيحين من حديث معقل بن يسار رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة»**(٢) فيا صاحب المنصب: اللهَ اللهَ فى هذه الأمانة.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٧٨٣٣] رواه مسلم رقم (١٨٢٦) فى الإمارة.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٥٧٤٠]، رواه البخارى رقم (٧١٥٠) فى الأحكام، ومسلم رقم (٢٢٧) فى الإيمان، وأحمد (١/ ٧٣).

واعلم بأن دنياك مهما طالت فهى قصيرة ومهما عظمت فهى حقيرة وأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر وأن العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر.. ويومها قد تندم كثيراً وساعتها لا ينفع الندم!!

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية فى بلاد الغرب . وأن أبناء الغرب هم الذين يعيشون هذه السعادة. ومِنْ ثَمَّ فالسعداء هم الذين يعيشون فى الغرب ويطبقون أحكامه ويدورون فى فلكه وهذه من الفتن التى تعصف الآن بقلوب الكثيرين من المسلمين والمسلمات.

ونحن أيها الأخوة والأخوات لا ننكر ما وصل إليه الغرب فى الجانب المادى ولكن الحياة ليست كلها مادة. ولا يمكن لطائرٍ جبار أن يحلق فى أجواء الفضاء بجناح واحد وإن نجح فى ذلك لفترة وإن طالت فإنه حتماً سيسقط لينكسر جناحه الآخر. فإن الغرب قد أعطى البدنَ كل ما يشتهيه وبقيت الروح تصرخ تبحث عن غذائها ودوائها وهنا وقف الغربيون فى حيرة.. لأن الروح لا توزن بالجرام ولا تُقاس بالترمومتر ولا تخضع لبوتقة التجارب الإضافية فى معامل الكيمياء والفيزياء.. وهنا كذلك وقف علماء الطب والنفس فى دهشة وحيرة أمام الحالات المتزايدة للمصابين بالأمراض النفسية والعصبية بل وأمام حالات الانتحار الجماعية.

وصدق الله إذ يقول: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحِ من أَمرِ ربِّى وما أُوتيتُم من العلْمِ إلاَّ قَليلاً﴾**[1].

ومن سافر إلى بلاد الغرب واطلع على الدراسات العديدة التى تجرى هنالك من آن لآخر أدرك يقيناً أن أبناء الغرب يفتقدون السعادة ولا ينبغى أن ننبهر بالمظاهر الخداعة التى تكاد تخطف أبصار من لا بصيرة لهم!!

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

قالوا الغرب قلت صناعةٌ وسياحةٌ ومظاهرٌ تُغرينا
لكنَّه خاوٍ من الإيمان لا يرعى ضعيفاً أو يَسُرُّ حزيناً
الغرب مقبرة المبادىء لم يزل يرمى بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما رفعت يدٌ أبدى لها السكينا
الغرب يكفر بالسلام وإنما بسلامه الموهوم يستهوينا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصة فَعَلام يحمل قومنا الزيتونا
كفرٌ وإسلام فأنَّى يلتقى هذا بذلك أيها اللاهونا

ثانياً : سعادة العالم بين الوهم والحقيقة

إن العالم اليوم محروم من الأمن والأمان رغم عظم الوسائل الأمنية المذهلة التى وصل إليها العلم الحديث ورغم الاختراعات الكثيرة التى يولد منها الجديد والجديد كل يوم، ورغم التخطيط الهائل المبنى على أسس علمية ونفسية لمحاربة الجريمة بشتى صورها وبالرغم من هذا كله فإن العالم لا زال يبحث عن الأمن والأمان وسط الركام.. بل لقد تحولت هذه الوسائل الأمنية نفسها إلى مصدر رعب وفزعٍ وإبادة للجنس البشرى.. فما من يوم يمر ـ بدون مبالغة ـ إلا وتسفك فيه دماء وتتمزق هنا وهناك أشلاء وتدمر مصانع وتحرق بيوت وتباد مزارع وتتحطم مدارس.

والعالم يجتمعُ وينفضُّ والدنيا تقوم وتقعد والخبراء يدرسون ويبحثون ويقررون ومع هذا كله فإن الآلاف من البشر يعيشون فى حالة من الذعر والرعب والخوف وهم ينتظرون الموت فى كل لحظة من لحظات حياتهم لكثرة ما يرونه من إبادة وقتل وإفناء.. وقد أصبحت الدنيا فى نظرهم

مظلمة بالرغم من كثرة الأضواء . . وأصبحت عليهم ضيقة بعد ما شُرِّدوا وطردوا من ديارهم وأموالهم.

وهكذا حُرِمَ العالمُ من الأمن والأمان على كثرة منظماته وهيئاته ومواثيقه وقوانينه وأصبح الإنسان يفعل بالإنسان ما تخجل الوحوش أن تأتيه فى الغابات.

والعالمُ اليوم أيضاً محرومٌ من الرخاء الاقتصادى رغم كثرة الأموال والمصانع واتساع الأسواق واختراع أحسن الوسائل فى كل مجالات الاقتصاد.

نعم بالرغم من هذا كله فإن الملايين من البشر لا زالوا يبحثون عن لقمة الخبز ويبذلون ماء وجوههم للحصول على الثوب ويضحون بأرواحهم لتوفير المسكن ومنهم من يموت جوعاً وبرداً ومنهم من يسكن الجبال ويعيش بين القبور.

والمفكرون يبحثون عن الأسباب والخبراء يضعون الحلول ثم لا أسباب . . ولا حلول.

والعالم اليوم محروم من الطمأنينة النفسية وراحة البال وخلو القلب من الهموم، والنفس إذا لم تتوفر لها الطمأنينةُ لا تستلذُ العيش ولو كان رخاءاً ولا تستمتعُ بملبس ولو كان فاخراً. ولا تهنأ بمركبٍ ولو كان فارهاً. ولا يمكن أبداً للقصور الشامخة والمراكب الفارهة والفرش الوثيرة والأموال الكثيرة والشهرة والجاه والمناصب والمتاع لا يمكن لهذا كله أن يهب للنفس الطمأنينة الروحية أو السعادة القلبية.

وهذا الحرمان الأمنى والاقتصادى والنفسى عبرّ الله جل وعلا عنه فى القرآن بقوله: ﴿**فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن**

ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتُنا فنسيتَهَا وكذلك اليوم تُنسَى * وكذلك نجزى من أسرفَ ولم يُؤمن بآياتِ ربه ولعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقَى﴾[١].

ولسوف يظل العالمُ بصفةٍ عامةٍ والعالمُ الإسلامىُّ بصفةٍ خاصةٍ يعيش فى هذا الضنك والشقاء.

وسيظل لفح الهاجرة المحرق يصفع وجهه وسيظل تائهاً شارداً متعباً قلقاً حتى يعود من جديد إلى منهج الله عز وجل الذى جعله الله جل وعلا سبباً للسعادة فى الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الإسلامُ وسعادةُ البشريةِ

والسؤال الآن.. هل حقق الإسلام السعادة من قبل؟ والجواب نعم.

فلقد حقق منهج الله فى الأرض الأمن والأمان والسعة والرخاء والسعادة والاطمئنان لا للمسلمين الذى حولوا منهج الله إلى واقع عملى فحسب.. بل لليهود والنصارى الذين عاشوا تحت ظلال الحكم الإسلامى الوارفه.

فهذا يهودىٌّ يسرق درعَ عليٍّ ـ رضى الله عنه ـ وكان خليفةً للمسلمين وأميراً للمؤمنين فقاضاه إلى قاضيه شريح ولم يأمر علىٌّ باعتقاله أو بسجنه أو بقتله أو بأخذ درعه بالقوة.

ومَثُلَ علىٌّ مع اليهودى أمام القاضى المسلم ونادى القاضى على علىّ

(١) سورة طه: ١٢٣-١٢٧.

بكنيته قـائلاً : يا أبا الحسن، ونادى على اليهودى باسـمه دون أن يكنيه، فغضب علىّ رضى الله عنه وقال للقاضى: إمـا أن تكنى الخصمين معاً أو تدع تكنيتهـما معاً. ثم سأل شريحٌ أمـير المؤمنين عن قضيتـه فقال على: الدرع درعى ولم أبع ولم أهب، فسأل شريحٌ اليهودى فيما قاله علىٌ فرد اليهـودى بخبث ودهاء مـعهودين قـائلاً: الدرع درعى وما أمـير المؤمنين عندى بكاذب.

فيقول شريح لعلى: هل من بينة؟

فقال على صدقت يا شريح: ما لى بينةٌ.

وكان مـوقفُ شريحٍ رائعاً كـموقف أمير المؤمـنين فلقد حكم بالدرع لليهودى لعدم وجود البينة عند المدعى، وهو أمير المؤمنين وأخذ اليهودى الدرع ومضى وهو يحدث نفـسه قائلاً: أمير المؤمنين يقاضـينى إلى قاضيه فيقـضى عليه إنَّ هذه والله لأخلاقُ أنبيـاء ثم عاد فقال: يا أمـير المؤمنين الدرع درعك سقطت من على بعيرك فأخذتها.

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فيرد عليه عَلِىّ قائلاً: أما وقد أسلمت فهى هدية منى لك.. الله أكبر.

ذاك يهودى وهذا قبطى يسبق ابن عمرو بن العاص فى مصر ويغضبُ ابنُ والى مصر أن سبـقه القبطى فضربه ابنُ عمـرو ضربة على رأسه وهو يقول خـذها وأنا ابنُ الأكرمين فرحل والد هذا القبطى إلى واحـة العدل والأمن والأمان إلى المديـنة المنورة حيث عمـر بن الخطاب رضى الله عنه الذى استـدعى عمرو وولدَه فوراً ويأمـر عمرُ بالقصـاص وأعطى القبطى عصاه وهو يقول له اضرب ابنَ الأكرمين ثم التفت إلى عمرو وقال قولتَه

الخالدة يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!

ففي ظل الإسلام عاش اليهود والنصارى في أمن وأمان وها هو التاريخُ مفتوحةٌ صفحاتُه لمن أراد أن يتعرف على الحق ولقد حقق منهجُ الله الرخاء الاقتصادي بوضع نظام اقتصادي عادل يربط الغنى بالفقير ويقضى على الجشع والشح والطمع، حتى جاء يوم أرسل فيه خليفة المسلمين عمرُ بنُ عبد العزيز منادياً يبحث عن الفقراء ليغنيهم وعن المحتاجين ليواسيهم وعن الشباب العاجز عن الباءة ليزوجَه.

والإسلام الذى حقق هذا كفيل بتحقيقه اليوم لمن يأوون إلى رحابه ويعيشون فى ظلاله.

ولقد حقق منهجُ الله الطمأنينة النفسية والسعادة القلبية والعصبية لأن طمأنينة النفس وسعادة القلب وانشراح الصدر نعمةٌ لا يحظى بها إلا المؤمنون. وفى صحيح مسلم من حديث صهيب الرومى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلَّه له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[1].

ولقد آن الأوان أن نعرف إسلامَنا وأن نحوله على أرض الواقع إلى منهج حياة لنقدمه للبشرية كلها لتسعد فى الدنيا والآخرة فإننا لن نقدم الإسلام للبشرية بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة ولكن بتحويل هذا الإسلام على أرض الواقع مرة أخرى إلى منهج حياة وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

* * *

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٣٩٨٠] أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩) فى الزهد، وأحمد فى المسند (١١٦/٦).

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أحبتى فى الله :

وأخيراً.. السعادة الحقيقية ووسائلها

أما فى الدنيا فلا تتحقق إلا فى الإيمان بالله والعمل الصالح قال تعالى: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾(١).

وأما السعادة فى الآخرة ففى الجنة وأعلاها التمتع بالنظر إلى وجه الله جل وعلا قال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ**﴾(٣).

وفى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة القيامة: ٢٢.

(٣) سورة هود: ١٠٥-١٠٧.

قال: «يقول الله تعالى: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطَّيتَنا ممَّا لم تُعْط أَحَداً من خَلْقكَ فيقُولُ: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يارب وأيُّ شيءٍ أفضَلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ علَيكُم رضوَانِي فَلاَ أسخَطُ عليكم بعدَهُ أبداً»[1].

وسائل السعادة

أولاً: الاستقامة على منهج الله عز وجل . . قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربُّنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عَليهمُ الملائكَةُ ألا تَخَافوا ولا تحزَنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم تُوعدون * نحن أولياؤُكُم في الحياة الدنيا وفي الآخِرَة ولكم فيها ما تشتهي أنفُسُكُم ولكن فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم﴾[2].

ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر . . فَلَذَّةُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ سعادةٌ لا يحظى بها إلا الموحدون.

ثالثاً: الإحسان إلى الناس . . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كرب الدنيا، نفَّس اللهُ عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعسرٍ، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، من سَتَرَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٦٥٤٩) في الرقاق، رقم (٧٥١٨) في التوحيد، رواه مسلم (٢٨٢٩/ ٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والترمذي رقم (٢٥٥٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٨٨).

(٢) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

مسلماً، ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما جلس قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحَفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1].

رابعاً: النظر إلى من هو فوقك فى أمور الدين وإلى من هو دونك فى أمور الدنيا..

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله**».

اللهم اسعدنا بطاعتك فى الدنيا وبرضوانك فى الآخرة يارب العالمين. . . الدعاء.

* * *

(١) **صحيح**:[ص.ج: ٦٥٧٧]، رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) فى الذكر والدعاء، وأبو داود رقم (٤٩٤٦) فى الأدب، والترمذى رقم (١٤٢٥) فى الحدود، رقم (١٩٣١) فى البر والصلة، رقم (٢٩٤٦) فى القراءات.

الخطبة الثانية :

لا تقنطوا من رحمة الله(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله. . أدَّى الأمانةَ، وبَلَّغَ الرسالةَ، ونَصَحَ الأمةَ، وكشف الله به الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. .

أما بعد :

فحيًّا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.

أحبائى ياملأ الفؤاد تحيةً	تجوز إليكم كل سهل وعائق
لقد شدنى شوق إليكم	مكلل بالحب والتقدير والدعاء المشفق
وأرَّقنى فى المظلمات عليكم	تكالب أعداء سعوا بالبوائق

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد العبد بفارسكور.

أردتم رضى الرحمن قلباً وقالباً ... وما أرادوا إلا حقير المأزقى
فسدد الله على درب الحق خطاكم ... وجنبكم فيه خفى المزالق

طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائما وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين فى جنتة ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شئ قدير..

« لا تقنطوا من رحمة الله »

هذا هو عنوان خطبتنا فى هذا اليوم المبارك أسأل الله جل وعلا أن يذلل لى ولكم الصعاب، وأن ييسر لى ولكم الأسباب وأن يفتح لى ولكم الأبواب إنه الحليم الكريم الوهاب.

ونظراً لطول هذا الموضوع فسوف ينتظم حديثى مع أحبابى فى العناصر التالية:

أولاً: الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.

ثانياً: خطر الذنوب والمعاصى.

ثالثاً: نداء علوى رقيق.

وأخيراً: فهل من توبة.

فأعيرونى القلوب والأسماع. فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولاً : الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار

أيها الحبيب الكريم. من يوم أن وجدت فى هذه الدنيا وأنت مبتلى، وأنت مختبر، إن مَنَّ الله عليك بالمال فأنت فى بوتقة اختبار، إن مَنَّ الله عليك بالعافية والصحة فأنت مبتلى.. إن ابتلاك الله بالشك والضيق فأنت مبتلى.

﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[1] هذه الدنيا دار إبتلاء وبوتقة اختبار ليست دار قرار وإنما هى دار بلاء ودار زوال .

اسمع إلى الكبير المتعال جل جلاله وهو يقول:

﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من اللّه ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[2].

هذا حكم الله جل وعلا على هذه الدار.

فانتبه أيها الحبيب. .ولقد تعمدت أن أبدأ الموضوع بهذا العنصرلينتبه كل غافل وليستعد كل ظالم.. ولينتبه كل مسوف للتوبة ظنا منه أن هذه الدنيا دار إقامة..، ودار قرار .. كلا إن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.. ومهما طالت فهى قصيرة.. ومهما عَظُمَت فهى حقيرة، لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر.

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

استمع إلى حبيبك المصطفى ﷺ وهو يبين لنا حقيقة هذه الدار فى هذا الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه:

يقول الحبيب: **إن ثلاثة نَفَرٍ فى بنى إسرائيل: أبرصَ، وأقرعَ ،وأعمَى ، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فاتى الأبرص فقال: أى شىءٍ أحبُّ إليك قال: لونٌ حسَنٌ، وجلد حسنٌ، ويذهب عنى الذى قد قَذِرنى الناس**[1] **. فمسَحَهُ، فذهب عنه قَذَرُه، وأعطى لونًا حسنًا. وجلداً حسناً قال: فأىُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبل، فأُعطى ناقةً عُشَرَاءَ، فقال: بارك الله لك فيها.**

فاتى الأقرعَ، فقال: أى شىءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌحسنٌ، ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس. فمسحَهُ، فذهب عنه،وأعطى شعراً حسناً. قال: فأىُّ المال أحَبُّ إليكَ ؟ قال: البقرُ. فأُعطى بقرةً حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فاتى الأعمى فقال: أى شىءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله إلى بَصرِى، فابْصُرُ الناس. فمسحه فردَّ الله إليه بصرَهُ. قال: فاى المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فَأعطِىَ شاةً والداً، فأنتج هذان، وَوَلَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم».

اسمع أيها الحبيب: فأرسل الله جل وعلا المَلَك إليهم مرة أخرى لكن الملك ذهب إلى كل واحد منهم على صورته التى كان عليها من قبل فذهب الملك فى صورة رجل أبرص إلى الرجل الأول.

يقول المصطفى ﷺ: « **ثم إنه اتى الأبرصَ فى صورتهِ وهيئته فقال: رجلٌ مسكين، قد انقطعت بى الحِبال**[2] **فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك،**

---

(١) أى تباعدوا عنى وكرهونى بسببه.

(٢) أى الأسباب.

أسألك بالذى أعطاك اللّون الحسَن، والجلدَ الحَسَنَ والمال، بعيراً أتبلغ به[١] فى سفرى. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأنى أعرفك، ألم تكُ أبرصَ يقذرُكَ الناس؟ فقيراً فأعطاك الله ؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر !!»

استمع إيها الحبيب: ألم أقل لك أن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.. لما أعطاه الله المال نسى أصله ونسى فقره وعجزه وحين ينسى الإنسان أصله.. تعالى..، وتكبر..، واستعلى.. إذا نسى الإنسان أنه كان شئ لا يذكر تعالى.

أَصْلُك ياابن آدم من تراب.. وفصلك يا ابن آدم من النطفة..!!

وأَصْلُك يوطأ بالأقدام .. وفصلُكَ تطهر منه الأبدان..!!

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم * الَّذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فى أَى صُورَة مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٢].

ورد فى مسند الإمام أحمد بسند حسن من حديث بُسر بن جُحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوماً فى كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: قال الله عزوجل: **«ياابن آدم أنىَّ تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بُردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقى قلت: أتصدق وأنىَّ أوان الصدقة»**[٣].

﴿حتى إذا جاء أحَدَهُم الموتُ قال ربِّ ارجعُونِ * لعلى أعمل صالحاً

---

(١) أى أبلغ بها المنزل الذى أريد.

(٢) سورة الإنفطار: ٦-٨.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ٢١٠)،(١٧٨٠٩).

فيمـا تَرَكتُ كلا إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يَومِ يُبعَثُون﴾[١].

أحبتى فى الله نعود إلى الحديث : **يقول الملك :**

ألم تك أبرص يقذرك الناس، فقيرا فاغناك الله ؟!

فقال: إنماورثت هذا المال كابراً عن كابر!! كلمتان كانت السبب فى محو هذه النعمة وفى زوال هذا الخير . .

يقول له الملك : « **إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت**» .

يعلق الحافظ ابن حجر فى الفتح ويقول: وجاء فى النص النبوى إن الله عزوجل قد فعل به ورده إلى ما كان إليه أول مرة.

ثم ذهب الملك إلى الرجل الثانى وقال له مثل ماقال للرجل الأول فرد عليه مثل مارد عليه الرجل الأول فقال له الملك: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت فصار إلى ما كان كما قال الحافظ ابن حجر ، **ثم ذهب الملك إلى الرجل الثالث وهو الأعمى فقال :« رجلٌ مسكين وابن سبيل، تقطعت بى الحبالُ فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرك،شاةً أتبلغ بها فى سفرى؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلىّ بصرى، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك[٢] اليوم بشئ أخذته للهُ عز وجل.**

فقال الملك: أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك[٣].

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٢) لا أجهدك: أى لا أشق عليك فى الأخذ والامتنان.

(٣) متفق عليه: [ص.ج: ٢٠٥٢] رواه البخارى (٦/ ٣٦٤) فى الانبياء، ومسلم رقم (٢٩٦٤) فى الزهد.

ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار ابتلاء.. ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار اختبار.

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا* الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[1].

أيها الحبيب الكريم:

قال لقمان الحكيم لولده: أى بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استدبرت الدنيا، واستقبلت الآخرة، فأنت على دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها.

أيها الحبيب الكريم.. أيها الشاب.. أيها الوالد الفاضل.. أيتها الأخت الكريمة الفاضلة:

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروحُ منك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها ... دارٌ حقيقتها متاعٌ يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

أيها الحبيب الكريم.. الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار، وليست دار قرار، وإنما دار القرار هى الجنة، جنة الكبير المتعال أسأل الله أن يجعلنى وإياكم من أهلها.

---

(١) سورة الكهف : ٤٥-٤٦.

هذا بإيجاز عن العنصر الأولى حتى أُعَرِّج على بقية عناصر الموضوع إن شاء الله جل وعلا.

ثانياً: خطر الذنوب والمعاصي

لما كان الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الإنسان ويعلم ضعفه وفقره وعجزه ويعلم أنه لا يستطيع أن يقنن أو يشرع لنفسه ما يسعده فى الدنيا والآخرة. جعل الله للإنسان منهجا يضمن له السعادة فى الدنيا والآخرة فقال:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾[1].

أيها الحبيب:

وضع الله للبشرية منهجاً يضمن لها السعادة فى الدنيا والآخرة. فمن اتبع منهج الله. سعد فى دنياه وسعد فى أخراه، ومن أعرض عن منهج الله وعصى مولاه شقى فى دنياه، وهلك فى أخراه.

فالمعاصى سبب للشقاء فى الدنيا والآخرة.. المعصية سبب للشقاء فى الدنيا والآخرة. الله جل وعلا يأمرك.. فائتمر.. نهاك فانتهى.. حد لك حدودا لسعادتك فامتثل حدود الله، وأوامر الله.. احفظ الله يحفظك..

(١) سورة طه: ١٢٤-١٢٧.

يقول الحافظ ابن رجب: احفظ الله بالإمتثال لأوامره والإستجابة لنواهيه والوقوف عند حدوده. إن فعلت ذلك فأنت ممن حفظ أوامر الله تبارك وتعالى.

أيها الحبيب الكريم:

المعصية ابتعاد عن منهج الله، ابتعاد عن حدود الله، تحد لأوامر الله تبارك وتعالى، فمن أخطر آثار المعاصى والذنوب أنها أخرجت الأبوين الكريمين من الجنة. . نعم بسبب المعصية. ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾[1]. فمن الذى أخرج الأبوين الكريمين من الجنة. . وما الذى طرد إبليس من رحمة الله. . وما الذى أهلك قوم فرعون . . وما الذى أهلك قوم عاد. . وما الذى أهلك قوم ثمود. . وما الذى أهلك قوم قارون. . وما الذى أهلك الظَّلَمَةَ والفَجَرَةَ والجبابرة فى كل عصر وحين. . إنه شؤم المعاصى والذنوب. فالمعاصى سبب للشقاء فى الدنيا والآخرة.

وانتبه أيها الحبيب الكريم: فمن أخطر آثار المعاصى والذنوب. .

١ - حرمان العلم:

يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، فى قوله تبارك وتعالى: ﴿**واتقوا اللَّه ويعلمكم اللَّه**﴾[2].

انتبه. . فإن كثيراً من طلاب العلم يشتكى سوء حفظه وضعف ذاكرته ولو فتشت أيها الحبيب الكريم لعلمت أن السبب هو المعاصى والذنوب.

(١) سورة طه : ١٢١.

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢.

يقول ابن عباس:

إن للمعصية سواداً فى الوجه، وظلمة فى القبر ووَهَناً فى البدن، وضيقاً فى الرزق، وبُغضاً فى قلوب الخلق، وإن للطاعة: نوراً فى الوجه، ونوراً فى القلب، وقوة فى البدن، وسعة فى الرزق، ومحبة فى قلوب الخلق.

يقول ابن مسعود:

إنى لأحسب أن الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمله.

لما أراد الشافعى الإمام أن يتلقى العلم على يدى. سيد المسلمين فى زمانه الإمام مالك بن أنس بعدما تلقى العربية وفنونها فى قبيلة هُذيل. عاد الشافعى يتكلم العربية بلغة فصيحة عجيبة فاغتاظ منه أحد بنى أعمامه وقال: يا شافعى يعز علىّ ألا أرى مع هذه اللغة فقهاً وعلماً. فقال الشافعى: فَعَلَى يَدِ مَنْ أطلب العلم: قال على يد سيد المسلمين، اذهب إلى مالك بن أنس فى مدينة رسول الله ﷺ.

وانطلق هذا الشاب الزكى العبقرى الصغير الذى لم يكن حينها قد جاوز الخامس عشرة من عمره، انطلق الشافعى ليبحث عن كتاب الإمام مالك «الموطأ» فاستعار الموطأ من رجل وعكف الشافعى مع الموطأ فحفظه عن ظهر قلب فى تسع ليال. وأخذه فى صدره، وانطلق إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وجلس الشافعى الإمام بين يدى أستاذه وشيخه مالك بن أنس وافتتح الشافعى الموطأ من حفظه، فكلما نظر مالك إلى الشافعى يقرأ الموطأ من صدره أعجب بذكاءه، وبحسن قراءته وقوة حافظته وذاكرته وبلاغته.

يقول الشافعي: فكلما نظرت إلى مالك تهيبت أن أواصل القراءة، فنظر إلى مالك وقد أعجب بحسن قراءتي وحفظي وقال لي: زد يا فتى.. زد يا فتى.. زد يا فتى.. حتى أنهيت الموطأ كله في أيام قليلة. فلما رأى مالك هذا الذكاء وهذا الحفظ من الشافعي قال:

يا شافعي إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

أحبتي .. ألم أقل إن للطاعة نورا في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق.

ألم أقل كما قال ابن عباس:

إن للمعصية سواداً في الوجه، وظلمة في القلب والقبر، وضيقاً في الرزق، ووهناً في البدن، وبُغضاً في قلوب الخلق.

قال الشافعي بسند صحيح:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأوصاني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يؤتاه عاصي

فيا أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن من أخطر آثار الذنوب والمعاصي أن تحرم من العلم، فإن زلت قدمك..، وجاذبتك أشواك الطريق يا طالب العلم فأنت بشر.. لست ملكاً مقرب، ولست نبياً مرسلاً، إنما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال:

« كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1].

(١) **حسن**: [ص.ج:٤٥١٥]، [المشكاة: ٢٣٤١]، رواه الترمذي رقم (٢٥٠١) في صفة القيامة وابن ماجة رقم (٤٢٥١) في الزهد، والدارمي(٢/٣٠٣) في الرقاق، وأحمد(٣/١٩٨).

فإن زلت قدمك وجاهدك أشواك الطريق فتب إلى الله، وعد إلى الله واعلم بأنك على الحق إن شاء الله جل وعلا.

٢- حرمان الرزق:

فقد ورد فى المسند بسند جيد بأن رسول الله ﷺ قال:

إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

قد يقول قائل: ما بال هؤلاء الكفرة الملاحدة يتنعمون بأرزاق الله؟ نقول لقد تكفل الله سبحانه وتعالى برزق الخلق جميعاً من أخذ بالأسباب أعطته الأسباب النتائج بأمر مسبب الأسباب تبارك وتعالى حتى لو أخذ بهذه الأسباب كافر بمولاه.

هذا عهد الله جل وعلا ويتبقى الحساب فى يوم لا ينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإذا رأيت الرجل فى نعمة الله . فاعلم أنه استدراج له من الله إن كان على معصية مولاه، اسمع إلى الله جل وعلا وهو يقول:

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٥-٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ٤٤-٤٥.

﴿فأمَّا الإنسان إذا مَا ابْتَلاهُ ربهُ فـأكْرمَهُ ونَعَّمَهُ فيقولُ رَبى أكْرَمَن وأما إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَليه رزقَهُ فيقولُ ربّ أهانَن﴾[1].

كلا - كلا ليس الأمـر كما تقـولون وكما تدعـون فليس كل من يسر اللّه عليه يكون قد فاز برضـوان اللّه وليس كل من ضُيق عليه يكون قد باء بغضب اللّه.

إذن أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن ما عـند الله لاينال إلا بطاعته وإياك أن تـظن أن ما عند الله ينال بمعصيته، واحرص أن تأكل الحلال الطيب. فإن العمر قليل، وإن أقرب غائب تنتظره هو الموت، وإن جسداً نبت على السُّحت وعلى أكل الحرام، فالنار أولى به.

فـإياك والرشوة، وإياك والحـرام ، وإياك والبـاطل، وإنما أدخل على ولدك الحلال الطيب. . ليـربى الله لك ولدك التربيـة الطيبة الصـالحة فى حياتك وبعد مماتك.

﴿ وَلَيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا منْ خَلـفهم ذُرِيَّةً ضعَافًا خَافُوا عَليـــهم فَليَتَّقُوا اللَّهَ وليقُولُوا قَولاً سَديدًا ﴾[2].

دخلوا على عـمر بن العزيز رضى الله عنه وهـو على فراش الموت: وقالوا : يا أمير المؤمنين ألا توصى لأولادك بشئ، فلقد أقفرت أفواه بنيك. فقال: أجلسونى، فاجلسوه فقـال: فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم، ولم

---

(١) سورة الفجر : ١٥-١٦.

(٢) سورة النساء : ٩.

أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم، وإن وَصِىّ فيهم ﴿اللَّه الذى نَزَّلَ الكتابَ وهو يَتَولىّ الصالحين﴾(١).

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير ذلك فلن أترك له ما يستعين به على معصية الله. ادعوا لى بنىّ، فأتوه.

فلما رأهم ترقرقت عيناه وقال: بنفسى فتنة تركتهم عالة لا شئ لهم وبكى، يا بنى إنى قد تركت لكم خيراً كثيراً، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا. يا بَنِىّ إنى قد خُيرت بين أمرين إما أن تستغنوا وأدخل النار أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلىّ، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله.

﴿ ولَيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا منْ خَلْفِهِم ذُرِيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيهِم فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وليقُولُوا قَولاً سَديداً ﴾(٢).

٣- الذل والهوان :

لا تغتر بأهل الدنيا إن كانوا محادين لله ورسوله.

إن الله يذل العاصى لشهوته. . لكرسيه. . لزوجته. . لابنه الضال. . وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية فى قلوبهم. . يأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

يا ابن آدم. . يا من عبدت الكرسى والمنصب الفانى. . إن غرتك قوتك فلم استحكمت فيك شهوتك، وإن غرك غناك فارزق عباد الله فى أرض الله يوماً واحداً.

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٦.

(٢) سورة النساء : ٩.

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على اللَّه رزقها﴾[1].

لا على شرق ملحد، ولا على غرب كافر. وإنما على الله ﴿إلا على اللَّه رزقها﴾.

اسمع ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾[1].

من أعجب ما قرأت فى الحلية لأبى نعيم: أن إبراهيم بن أدهم جلس يوما يأكل بعض قطع اللحم المشوى فجاءت قطة فأخذت قطعة لحم وانصرفت ، فجرى وراءها إبراهيم بن أدهم ليراقب الموقف وإذ به يرى القطة تضع قطعة اللحم أمام جُحر مهجور فراقب الموقف بشدة وانتباه فينظر إبراهيم فيرى ثعباناً أعمى يخرج من جحره ليأخذ قطعة اللحم ويرجع مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى الرزاق ذى القوة المتين وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾.

ولكن لما قَلَّت ثقتنا فى الرزاق. . وضعف يقيننا فى الرزاق. . رأينا الفسق وباركناه، وفتحنا أندية القمار وزكيناه. . وفتحنا الأبواب على مصراعيها للسياحة الداعرة. . وقنَّنا وشرَّعنا لهم شرب الخمور فى بلاد المسلمين ما دام أن المسلمين لا يشربون الخمر فما الضير فى ذلك؟! ما داموا يدخلون لنا الأموال التى حرمها الكبير المتعال جل وعلا.

ليس هناك ثقة فى الرزاق !! والله سبحانه وتعالى يقول:

---

(١) سورة هود : ٦.

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾(١). الله أكبر.

﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * مالكم لاترجون لله وقاراً﴾(٢).

إذن أيها الحبيب الكريم من آثار المعاصى والذنوب.. الذل والذلة والمهانة.. العز فى الطاعة.. والذل فى المعصية.

المعصية ذلة وذل ومهانة وحقارة وضعف.. ولكن إن تبت إلى الله وعدت إلى الله فأنت كريم على الله.. عزيز على الله جل وعلا.

* وخذوا هذه العبارة التى ينبغى أن تسطر بالنور لا بالذهب من شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين: ابن تيمية رحمه الله وطيب الله ثُراه: يقول:

الأصل فى الكبائر التوبة وليس إقامة الحدود.

عبارة عجيبة.. إن وقعتَ فى كبيرة من الكبائر وستَرَكَ الله، استر على نفسك، وتب إلى الله جل وعلا.. أما إن وصل أمرُك إلى ولى الأمر وجب عليه حينئذ أن يقيم عليك حد الله، ولا ينبغى أن تأخذنا الشفقة والعطف والرحمة إذا ما تقدم الجانى ليقام عليه حد الله .. بل إن الرحمة بعينها هى أن يقام حد الله على الجانى، ليموت هذا من أجل أن يحيا المجتمع بأسره.

---

(١) سورة الأعراف : ٩٦.

(٢) سورة نوح : ١٠-١٣.

قال تعالى: ﴿وَلَكُم فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يـاَ أُولِي الألـبَابِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾(١).

اسمع إلى المصطفى ﷺ وهو حديث صحيح من حديث ثوبان رضى الله عنه أنه ﷺ قال:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الآكلة إلى قصعتها، فقال قائل: يا رسول الله! ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يارسول الله، ما الوهن، قال حب الدنيا وكراهية الموت»(٢).

الأمة الآن فى ذل.. بسبب الإعراض عن منهج الله.. أذلها الله لإخوان القردة والخنازير من أبناء يهود.

لماذا؟ لأن الأمة قد تخلت عن أصل عزها وعن نبع شرفها وعن معين كرامتها ووجودها.

فراحت تبحث عن العز والسيادة فى الشرق الملحد تارة، وفى الغرب الكافر تارة أخرى، فأذلها الله، وسلط الله عليها ذلاً لن ينزعه إلا إذا عادت مرة أخرى إلى دين ربها، وإلى كتاب ربها وإلى سنة الحبيب محمد ﷺ.

ها نحن نرى الأمة الآن ذلت بعد عزة.. وضعفت بعد قوة.. وجَهِلَت بعد علم.. وأصبحت فى ذيل قافلة الإنسانية، بعد أن كانت

---

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٨١٨٣]، أخرجه أبو داود رقم (٤٢٩٧) فى الأمم، ورواه أحمد (٥/٢٧٨) انظر الصحيحة رقم (٩٥٨).

بالأمس القريب تقود القافلة كلها بجدارة واقتدار . . ونرى الأمة الآن تتسول على موائد الفكر الإنسانى، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب، منارة تهدى الحيارى والتائهين، الذين أحرقهم لفح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشى فى التيه والظلام، ونرى الأمة اليوم تتأرجح فى سيرها ولا تعرف طريقها التى يجب عليها أن تسلكه، وأن تسير فيه بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب الدليل الحاذق الأرب فى الدروب المتشابكة فى الصحراء المهلكة التى لايهتدى فيها إلا الأدلاء المجربون.

فمن أخطر آثار المعاصى والذنوب «الضنك والضيق» الذى يعيشه الناس.

نعم أيها الأحباب:

ورد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

« **يا معشر المهاجرين: خمس إذا إبتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن. لم تظهر الفاحشة فى قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاسلط الله عليهم عدواً من غيرهم فاخذوا بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا** (أى يطلبون الخير مما أنزل الله) **إلا جعل باسهم بينهم**»[1].

فانظر أيها الحبيب إلى هذا الحديث العظيم وانظر إلى حالنا وتفكر . . كأن النبى ﷺ يجسد حال الأمة الآن . .

---

(١) صحيح: [الصحيحة: ١٠٦]، جه (٤٠١٩) نعيم فى الحلية (٨/ ٣٣٣-٣٣٤].

أظهرنا الفـاحشة. . فظهـرت الأمراض والأوجاع وانقـصنا الميزان. . فأخذنا بالسنين وشدة المؤونة، وهل هناك شدة أكثر مما نحن عليه.

ونقضنا عـهد الله وعهد رسـوله بعد أن بعدنا عن مصـدر عزنا ونبع شرفنا. . فسلط الله علينا اللآم وطمع فينا الضـعيف قبل القوى، والذليل قبل العزيز، والقاصى قبل الدانى، وسلبت أرضنا. . وضاع قدسنا وراح شرفنا، وانتهك عرضنا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

«وما لم تحكم ائمتهم بكتاب الله إلا جعل الله باسهم بينهم».

وضعنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واستبـدلنا بالعبير بعراً والثريا ثرى والرحيق المختوم حـريقاً محرقا وشأننا فى ذلك كـشأن الجعل يتأذى من رائحة المسك الفـواح ويحيى ويعيش ويسعد برائحـة القذر والنتن فى الخلاء والمستراح. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخيراً من أثار المعـاصى والذنوب. . وانتبه لهذه الأخـيره لأنها من أخطر آثار المعـاصى والذنوب أيها الشـباب. . أيهـا الأحبـاب. . أيتـها الأخوات الفضليـات. . إن إدمان المعصية يؤثر على صاحـبها عند الموت فلا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد.

والله إن لم يكن من آثار المعـاصى والذنوب إلا هذه لارتعدت منـها القلوب فى الصدور.

يخـون القلب واللسان صـا حبـه العاصى إذا نام على فـراش الموت فكيف يوفق بالنطق بلا إله إلا الله من غـفل فى دنياه، عن ذكـر مولاه، واتبع هواه، وكان أمره فرطا؟

كيف يوفق للنطق بكلمة بالتوحيد؟

لا يوفق للنطق بكلمة التوحيـد، إلا من عاش فى الدنيا على الطاعة وعاش على التوحيـد، وامتلأ قلبه بالتوحيد،وتحرك التـوحيد وأُشرِب قلبه التوحيد.

أما من عاش على المعاصى، وأُشرِب قلبه بحب المعاصى، وابتعد عن الطاعة، واستمر على غير حق، وعلى غير هدى.. هذا من عدل الله أنه يختتم له بسـوء الخاتمة عياذا بالله.. أعـاذنا الله وإياكم من سوء الخاتمة، فوالله إنما الأعمال بالخواتيم.

أخبرنا علماؤنا كابن القيم وابن الجوزى والطبرى والطبرانى والقرطبى وغيرهم فى مـراجعهم: أن رجلاً كان يعمل بالأذان فى مـصر مدة طويلة وقام يومـاً ليرفع الآذان، فمـرت عليه امرأة فـسألته سـؤالا وقالت: أين الطريق إلى حمـام منجاب. فنظر الرجل إليـها نظرة، فوقـعت فى قلبه فأشار إلى باب داره وقال: هذا هو حـمام منجاب، فدخلت المرأة الدار على أنه الحمـام الذى يتجمل فيـه النساء، فلما نظرت وعلمت أنهـا قد وقعـت فى فخ المعصـية، وأنه قـد خدعهـا، أظهرت لـه البشر والـفرح بإجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا مايطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا فقال لها: الساعة آتيك بكل ماتريدين وتشتهين وخرج، وتركها فى الدار، ولم يغلقها، فأخذ مايصلح لهما ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت ، فهام الرجل، وجعل يمشى فى الطرقات والأزقة ويقول:

يارب قائلةٍ يوما وقد تعبت أين الطريقُ إلى حمام منجاب

وظل الرجل يردد هذا البـيت وامـتنع عن الآذان وعن الصلوات إلى أن نام على فـراش الموت فـذهب إليـه بعض الصـالحين ليلـقنوه كلمـة

التوحيد. . ويذكروه بالآذان الذى رفعه حيال السنوات الماضية نسأل الله العصمة والسلامة. . فكان يرد عليهم بقوله:

يارب قائلة يوما وقد تعبت أين الطريقُ إلى حمام منجاب

وخُتِم له وهو يرد هذا البيت والعياذ بالله .

فإنما الأعمال بالخواتيم يقول الحافظ ابن كثير:

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شئ مات عليه ومن مات على شئ بعث عليه.

فإن عشت على الطاعة مت على الطاعة وبعثت على الطاعة وإن عشت على المعصية مت على المعصية وبعثت على المعصية ففى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال:

« **يبعث كل عبد على مامات عليه** »[1].

فانتبه! وأحذر نفسى وإياك ورب الكعبة ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم**﴾[2].

فإن العاصى يُخشى عليه أن يخونه قلبه ولسانه وجوارحه التى استغلها طيلة عمره فى معصية الله جل وعلا.

فيا أيها الحبيب استعن بالله واستقم على الطاعة وابعد عن المعاصى والذنوب، فإن البعد عن المعاصى والذنوب سبب رئيسى من أسباب حسن الخاتمة أسأل الله أن يختم لى ولك بها.

---

(١) **صحيح**: [ص. ج: ٨٠١٥] رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) فى الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

أمـا إذا ما ذل الإنسـان ووقع فى كبـيرة من الكبـائر أو معـصيـة من المعاصى وضاقت عليه الأرض بما رحبت وضـاقت عليه نفسه وظن أنه قد هلك. .وظن أنه قد ضاع . . وظن أنه قد فقد كل شئ.

فليستمع إلى هذا النداء العلوى الندى الراقى. . الذى يملأ عليه أركان جوارحه وينادى عليه صاحب هذا النداء جل جلاله. . لاتقنط ولاتيأس.

﴿قل يا عبادى الذين أسرَفُوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم﴾(١).

يا الله نـداء عَذب. .نداء نـدىّ. .نداء رخىّ يمـلأ القـلوب أمـنا. . واطمئنانا. . ورجاءً فى الرحيم الكريم اللطيف جل جلاله.

إن وقعت. . زلت قدمك فـأنت بشر فأصغ سمـعك ،وأحضر قلبك لهذا النداء العلوى الجليل.

﴿قل ياعبادى﴾ واسـعد واسـجـد لربك شكراً أن نَسَبَكَ الله لتكون عبداً له. . **﴿قل ياعبادى الذى اسرفوا على أنفسهم﴾**.

ياله من شرف. .أن ينسب الله الذين أسرفـوا على أنفسهم بالمعاصى والذنوب ويجعلهم عباداً لعلام الغيوب جل جلاله.

من أنا؟ ومن أنت؟ على المعصية ننسب عباداً لله. . ما طردنا الله من هذه الصلة. .لا والله لأنه خـالقنا. .لأنه هو الذى يعلم ضعـفنا، ويعلم فقرنا ويعلم عجزنا. . ويعلم جهلنا. . ويعلم ذلنا.

فإن ذلت قوتُك ووقعت فى كبيرة من الكبائر. .أو فى معصية من المعاصى. . فهيا. . إياك أن يخذلك الشيطان. .وأن يصرفك عن قرع باب الرحيم الرحمن.

---

(١) سورة الزمر : ٥٣.

لا تتردد. . تعال. . تعال إلى ربك. . على الرغم من ذنوبك. . على الرغم من معاصيك. . واسمع إلى الله. . إلى هذا النداء العلوىّ:

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه﴾ .

اسمع إلى الله جل وعلا وهو ينادى عليك فى الحديث القدسى الجليل الذى رواه مسلم والترمذى واللفظ للترمذى.

قال سبحانه وتعالى: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ..، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»(1) .

يا ابن آدم! لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتى غفرت لك ولا أبالى. . إنها رحمة الله جل وعلا. . وفضل الله سبحانه وتعالى.

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعا إن هو الغفور الرحيم﴾ .

أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم.

* * *

---

(١) حسن: [ص.ج: ٤٣٣٨]، [الصحيحة: ١٢٧] ، [المشكاة:٤٣٣٦]. رواه الترمذى (٢/ ٢٧٠)، والدارمى (٢/ ٣٢٢)، وأحمد (٥/ ١٧٢).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

هيا أيها الحبيب أقبل وتب إلى الله تبارك وتعالى، وأقلع عن المعاصى والذنوب، يامن قضيت الوقت على المقاهى أمام المباريات.. وضيعت حق رب الأرض والسموات.. يا من أسرفت على نفسك بالمعاصى والذنوب.. انتبه فإن الموت قادم.. والله إن العمر قليل.. وإن أقرب قادم تنتظره هو الموت ولن تنفعك هذه اللحظات التى قضيتها أمام المباريات.. غافلاً عن السجود والركوع بين يدى رب الأرض والسموات يامن تجلس الآن على المقهى مضيعاً أمر الله، وحق الله.. اعلم بأنك على خطر ويخشى أن تموت على غير الإسلام.

هل من توبة؟ هل من عودة؟ هل من أوبة؟ من منا سيعاهد الله الليلة أن يتوب إلى الله؟..وأن يعود إليه.. وأن يحرص على صحبة الأطهار الأخيار الأبرار.. وأن يحرص أن يسأل من الليلة عن دينه، ليرضى ربه العزيز الغفار.. وليرضى نبيه المختارﷺ.. من منا سيعاهد الله بالتوبة والأوبة؟

هيا تب إلى الله،وعد إلى الله واعلم بأن الدنيا مهما طالت فهى قصيرة ومهما عظمت فهى حقيرة..وأن الليل مهما طال،لابد من طلوع الفجر وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر.. اعلم بأن السفر بعيد وبأن العقبة كؤود..وبأن الناقد بصير.

سفرى بعيد وزادى لن يبلغنى وقوتى ضعفت والموت يطلبنى
ولى بقايا ذنوب لست أعلمُها الله يعلمُها فى السر والعلن
وأنا الذى أُغْلِقُ الأبوابَ مجتهداً على المعاصى وعين الله تنظرُنى
ما أحلمَ الله عنى حيث أمهلنى وقد تماديُت فى ذنبى ويستُرنى
كأننى بين تلك الأهل منطرحاً على الفراش وأيديهم تُقلبُنَى
وقد أتَوا بطبيبٍ قد يعالِجَنى ولم آر الطبيب اليوم ينفعنى
واشتد نزعى وصار الموتُ يجذبها من كل عرق بلا رفق ولاهونِ
كأننى وحولى من ينوح ومن يبكى علىّ وينعانى ويندُبُنى
وقام من كان أحبَ الناسِ فى عجلٍ نحو المُغَسِّلِ يأتينى يُغسلى
فجاءنى رجلٌ منهم فجردَّنى من الثيابَ وأعرانى وأفردَنى
وأودعونى على الألواحِ منطرحاً وصار فوقَى خرير الماء ينظفِنى
وأسكب الماء من فوقى وغسلنى غسلاً ثلاثاً ونادى القومَ بالكَفَن
وحملّونى على الأكتافِ أربعةٌ من الرجالِ وخلفى من يشيعنى
وأخرجونى من الدنيا فوا أسفا على رحيلٍ بلازاد يبلغنى
وقدمونى إلى المحرابَ وانصرفوا خلف الإمام فصلى ثم ودعنى
صلوا علىَّ صلاةً لاركوعَ لها ولا سجودَ لعلَّ الله يرحمنى
وانزلونى إلى قبرى على مهلٍ وقَدَّموا واحداً منهم يُلَحدنى
فكشف الثوبَ عن وجهى لينظرنى فأسكب الدمع من عينيه أغرقنى
وقال هُلُّوا عليه التراب واغتنموا حسنَ الثوابِ من الرحمن ذى المَنن
وتقاسم الأهل مالى بعدما انصرفوا وصار وزرى على ظهرى فاثقلنى
فلا تغرنك الدنيا وزينتها وانظر إلى فعلها فى الأهل والوطن

يانفس كفى عن العصيان واغتنمى فعلا جميلا لعل الله يرحمنى
يانفس ويحك توبى واعملى حسنا عسى تجزين بعد الموت بالحسن
وامنن علىَ بعفوٍ منك يا أملى فإنك أنت الرحمن ذو المننِ

* * *

أيا من يدعى الفهم إلى كم يا أخى الوهم
تعبٍ الذنب والذنب وتخطى الخطأ الجم
أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب
وما فى نصحه ريب أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم فكم تسير فى السهو
وتختال من الزهو وتنفض إلى اللهو
كأن الموت ماعم كأنى بك تنحط
إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط
إلى أضيق من سَمْ هناك الجسم ممدود
ليستأ كله الدود إلى أن ينخر العود
ويمسى العظم قد رم فزود نفسك الخير
ودع مايعقب الضير وهيئ مركب السير
وخف من لجة اليم بذا أوصيك ياصاح
وقد بحتك من باح فطوبى لفتى راح
بآداب محمدٍ يأتم
يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليلُ
فتأهبئ يانفس لايلعب بك الأمل الطويلُ

فلا تنزلن بمنزل ينسى الخليلَ به الخليلُ وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقيلُ
قُــــرِنَ الفنــاء بنـــا جـميـعـا فــلا يبـــقى العـزيز ولا الذلـيــلُ

هل من توبة؟ هل من توبه؟

وأول شرط من شروطها.. أن تقلع عن المعصــية.. وشرطها الثانى وركنهــا الأعظم.. هو الندم على مــا فرط منك، وأن يتـقطع قلبك وأن تحتـرق أحشــاؤك وأن تقضى سائـر عمرك على وجل ألا يقــبلك الله فى الصالحين.

يا من ضـيعت الصــلاة.. يا من ضيـعت الزكاة.. يا من حــاربت منهج الله.. يا من حاربت دين الله.. يا من حاربت الأطهار والأخيار. يا من حاربت سنة المصطفى. يا مـن عققت أباك. يا مـن عققت أمـك. يا من قطعت رحمك. يا من آذيت الجيران.. يا من آذيت الأحباب..عد إلى الله وتب إلى الله.

واندم على مافات.. واعلم بأن ربك غفور رحيم.

وشرط التوبة الثالث أن تداوم على الطاعات وأن تعاهد رب الأرض والسموات.

اسأل الله جل وعلا بأسـمائه الحسنى.. وصفــاته العلا.. أن يرزقنا قــبل الموت توبة.. الــلهم ارزقنا قــبل الموت توبة.. اللــهم ارزقنا قــبل الموت توبة.. وعند الموت شهادة.. وبعــد الموت جنة ورضوانا.. اللهم بأسمــائك الحسنى وصــفاتك العليــا.. لا تدع لأحدٍ منا فى هــذا الجمع المبارك ذنبــا إلا غفرته.. ولا مـريضاً إلا شـفيتـه.. ولا دينا إلا أديته..

ولاطائعاً إلا ثبته.. ولا عاصياً إلا هديته.. ولا حاجة هى لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يارب العالمين..اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً.. وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما.. ولا تجعل اللهم فينا شقياً ولا محروماً.

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى.

اللهم احفظ شبابنا واستر نساءنا.

اللهم وفق إخواننا وأبناءنا الطلاب وذلل لهم الصعاب.. ويسر لهم الأسباب وافتح لهم الأبواب وأدخل على أهلهم السعادة والسرور يا تواب اللهم ارحمنا برحمتك فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر اللهم لاتعاملنا بذنوبنا.. فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة اللهم عاملنا بفضلك يا أهل الإحسان.

اللهم أنت غياثنا فبك نغوث.. وأنت عياذنا فبك نعوذ، اللهم أنت ملاذنا فبك نلوذ.. يا ودود يا ودود.. يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد.. يا من ملأ نوره أركان عرشه.

يا مغيث المستغيثين ويا مجيب المضطرين. يا مفرج كرب المكروبين فرج كرب أمة حبيبك المصطفى اللهم أعز الإسلام والمسلمين واعل بفضلك كلمة الحق والدين،اللهم فك أسر أخواننا المأسورين.. اللهم اربط على قلوبنا وإياهم يا أرحم الراحمين.

اللهم احفظ نساءهم..واحفظ بناتهم..واحفظ أولادهم.

اللهم اقبلنا وتقبل منا وتب علينا وارحمنا ..أنك أنت التواب الرحيم.

هذا واستغفر الله لى ولكم.

هذا وما كان من توفيق فمن الله ومـا كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

واعـوذ بالله أن أكون جـسراً تعـبرون علـيه إلى الجنة ويقـذف به فى جهنم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



الخطبة الثالثة :

الهجرة دروس وعبر(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمجمع الإيمان بالمنصورة بتاريخ ٣/ ١/ ١٤١٦ هـ.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله إن شاء الله تبارك وتعالى سوف ينتظم حديثى معكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية:

أولاً: أسف وألم.

ثانيا: ولماذا الهجرة؟

ثالثاً: درس فى التخطيط والتنظيم.

رابعاً: وكيف يُنسى دور الصديق.

خامساً: وللشباب دور.

وأخيراً: وقفة للتأمل.

أولاً: أسفٌ وألم

يُؤسف ويُؤلمُ كلَ مسلم غيور، أن الأمة تحتفل مع بداية كل عام هجرى جديد بذكرى هجرة المصطفى ﷺ فى الوقت الذى نَحَّت فيه شريعته وانحرفت عن سُنَّته.

واختارت لنفسها من المناهج الأرضية والقوانين الوضعية.ماينقص من الأساس زعمها الباهت أنها تكرم سيد البشرية!!

بل لقد أصبحت السيرةُ اليوم تعرضُ لمجرد الإعجاب السالب أو للدراسة النظرية البحتة وكأننا لسنا مطالبين بأن نعيش هذه السيرة وأن نحولها فى حياتنا إلى منهج حياة وإلى واقع يتحرك فى دنيا الناس فيسمعُ

كثيرٌ من المسلمين السيرة، وينطلق ولسان حاله يردد. . كان يا ماكان فى سالف الأيام على عهد النبى عليه الصلاة والسلام.

مع أن الله جل وعلا لم يبعث محمداً ﷺ إلا ليكون قدوة متجددة على مر الأجيال والقرون، وإلا ليكون مثلاً أعلى لكل زمان ومكان.

فقال سبحانه: ﴿**لقد كان لكم فى رسول اللَّه أسوة حسنة لمن كان يرجوا اللَّه واليومَ الآخر وذكر اللَّه كثيراً**﴾[1].

نعم لقد أدبه الله ورباه على عينه. .وشرح له صدره. . ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وأعلى له قدره وزكاه فى كل شئ.

زكاه فى عقله فقال سبحانه: ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ [النجم: ٢].

وزكاه فى صدقه فقال سبحانه: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ [النجم:٣].

وزكاه فى صدره فقال سبحانه: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ [الشرح: ١].

وزكاه فى ذكره فقال سبحانه: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ [الشرح:٤].

وزكاه فى حلمه فقال سبحانه: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ [التوبة: ١٢٨].

وزكاه فى علمه فقال سبحانه: ﴿**علمه شديد القوى**﴾ [النجم: ٥].

وزكاه فى خلقه فقال سبحانه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤].

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خيرُ خلق الله كلهم. .فلقد جمع الله فى شخص المصطفى القدوة الحية الكاملة للمنهج التربوى الإسلامى على مدار التاريخ كله.

* فهو رسول يتلقى الوحى من الله جل وعلا ليربط الأرض بالسماء بأعظم رباط وأشرف صلة.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

* وهو رجل سياسة يقيم الأمة من فتات متناثر، فإذا هى بناءٌ لا يطاوله بناء وغيَّر مجرى التاريخ فى فترة لا تساوى فى حساب الزمن شيئاً.

* وهو رجلُ حربٍ يضع الخطط،ويقود الجيوش كقائد متخصص فى القتـال فكان إذا صمتـت الألسنة وبلغت القلوب الحناجر قـام فى الميدان ينادى بأعلى صوته:

«أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب» [1].

* وهو أب، وزوج، ورب أسرة كبيرة تحتاج كثيراً من النفقات - من نفقات النفس والتربية والتوجيه فضلاً عن نفقات المال - فيقوم بهذا الدور الكبير على أعلى نسق شهدته الأرض وعرفه التاريخ.

* وهو عابد خاشع خاضع لربه كأنه ماخلق إلا للعبادة وكأنه قد تفرغ لها ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض،أخذت عقلَه وفكرَه وروحَه وعرقَه ودمَه.

كل هذه العظمات،كل هذه الطاقـات،وكل هذه الأشخاص المتـفرقة تجمعت فى شخص المصطفى ﷺ.

* فهو القدوة الطيبة والمثل الأعلى الذى يجب ألا تكون سيرته ماضياً أبداً بل يجب أن تكون سـيرته الزكيـة شعلة توقد شـموسَ الحيـاة ودماءً تتدفق فى عروق المستقبل والأجيال.

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٤٥١]، [مختصر م:١١٨٩] رواه البخارى (٨/ ٢١، ٣٧) فى المغازى، مسلم رقم (١٧٧٦) فى الجهاد، والترمذى رقم (١٦٨٨) فى الجهاد.

ثانياً: ولماذا الهجرة

وللجواب على هذا السؤال قصة.

إنها قصة طفل طهور، وديع كالنسيم، ولِد يتيما واستمر اليتم يلاحقه ويلاحق طفولته فى طرقات مكة ودروبها.

ويكبر محمدﷺ، وتكبر غربته، ويـكتشف فى دروب الحياة يتماً أكبر من يتمــه، وهَمّاً أثقل من هَمّه.. فالأرض كلها يتم.. والبشــرية كلها تئن بالألم و يعصر قلبها الحزن.

فالجــزيرة العربية كلها غــابة من الأصنام، وأودية تسيل بالدماء البــريئة والعادات العالية والتقاليد المحيرة.

فماذا يفــعل محمد ﷺ سوى أن يهــجر هذه البئية لــينطلق بعيداً.. بعــيداً على قــمة جبــل النور ليقــضى النهار فى التــأمل والتفكر والتــدبر وليقضى الليل فى التعبد والتبتل والتضرع.

وفى ليلة مباركة من ليالى شهر رمضان يصمت الكون كله.. النجوم فى السماء والرمال فى الصحراء.. والوحوش فى البيداء.. إنها لحظات فريدة.. إنها لحظات تربط الأرض بالسماء.. فها هو أمين وحى السماء جبــريل عليه الســلام يتنزل بالوحى على رسول الله ﷺ، ويحــمل النبى الأمــانة، وينطلق بهــا إلى قومــه وينطلق بهــا بهجــة وبشــرى لهم، ينتظر الإجابة، وتأتى الإجابة على غير ما يتمنى.

يأتى الإجابة سباً وتكذيباً وتعذيباً.

وتحت وطأة هذا الظلم والطغيان لم يجــد النبى ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة.. بالهــجــرة إلــى أيــن؟ إلى الحبشــة لأن بها ملكاً

لا يظلم عنده أحد ولتسغل شلالات الحبشة دموع المؤمنين وأحزانهم.

ويشتد الأذى ويزيد الابتلاء فيخـرج الحبيب المصطفى ﷺ بنفسه يشق الأودية والجبال على قدميه الداميتين المتعبتين تحت حرارة الشمس المحرقة، وعلى الرمال والصخور الملتهبة ولكن إلى أين؟!

إلى الطائف لعله يجد أرضاً تقبل بذرة التوحيد. . لعله يجد يداً حانية تحمل هذا الدين وتنشر معه هذا النور.

وإذا بأرض الطائف هى الأخـرى تلفظ بذرة التوحـيد، وإذا بأهلـها يفعلون معه أخس ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان.

ولا تزيد الأيام قريشاً إلا بطشاً، وظلمـاً، وطغياناً، ويأمر النبى ﷺ أصحابه مرة أخرى بالهجرة. . إلى أين؟! إلى يثرب.

ويشعـر المشركـون لأول مرة بحجم الخطر ويَعـقدُ البـرلمان الشركى أخطر اجتمـاع له فى التاريخ لإصدار قرار بالإجماع للقـضاء على حامل لواء الدعوة لقطع تيار نورها عن الوجود نهائياً.

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1].

﴿وإذ يمكُرُ بك الذين كفروا لِيُثبِتُوكَ أو يَقتُلُوكَ أو يُخرجُوكَ ويَمكُرُونَ ويمكُرُ اللَّه واللَّه خير الماكرين﴾[2] ويعلم النبى ﷺ بهذا الاجتـماع الخطير فماذا صنع المصطفى ﷺ؟

والجواب أنه التخطيط الدقيق، والتنظيم المحكم الذى لا يدع أبداً مكاناً للحظوظ العمياء، وهـذا هو عنصرنا الثالث مـن عناصر هذه الخطبة.

---

(١) سورة يوسف: ٢١.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

ثالثاً: درس فى التخطيط والتنظيم

فلقد كُلف النبى ﷺ بالهجرة، وعمره ثلاثٌ وخمسون سنة فى ظروف صعبة قاسية حتى يرى نفسه مضطراً أن يهاجر بليل مختفياً هو وصاحبه من أعين المطاردين الذين رصدوا الجوائز المغرية لمن يأتى بمحمد حياً أو ميتاً.

فيضع النبى خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة.

* فيأذن لسائر المؤمنين بالهجرة ويأمر أن يبقى أبو بكر وعلى رضى الله عنهما.

* والمدينة المنورة تقع إلى الشمال من مكة والمسافر إليها يتجه شمالاً ولكنه ﷺ يتجه جنوباً ناحية اليمن ليضلل المطاردين.

* والأمر يحتاج إلى دابة قوية فيجئ الصديق براحلتين قويتين ويقوم على أمرهما .

* والطريق يحتاج إلى رجل خبير لا يعرف الطرق الممهدة فقط بل يجب أن يعرف الطرق الجانبية والفرعية التى يمكن أن تُسلك ليتمكنوا من الفرار من المطاردين، ولا حرج أن يكون على الشرك بعدما تيقن من أمانته.

* ولن تهدأ قريش فى الأيام الثلاثة الأولى- لا فى الليل ولا فى النهار - عن البحث عن النبى ﷺ وصاحبه. إذن فلا بد من الاختفاء فى الغار فى هذه الأيام.

* وكيف تُعرف الأخبار؟! والخطط التى تدبرها قريش؟!

يأتى عبد الله بن أبى بكر بليل لينقل كل ما سمع من أخبار وقبل الفجر يكون فى مكه كأنه بات فيها.

* وكيف التغلب على آثار الأقدام على الرمال وأهل مكة يجيدون معرفة الآثار؟! فليأت عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ليرعى الأغنام فتمحو الآثار ويحلب لهما اللبن، ويقدم لهما الطعام.

* وفى بيت المصطفى ﷺ ينام علىّ على فراشه، ويلتف ببرده الكريم، حيطة بالغة ودقة محكمة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلاً وهذا هو المعنى الحقيقى للتوكل على الله عزوجل.. إنه الاحترام الكامل لقانون السببية الذى أودعه الله فى هذا الكون مع الثقة فى نصر الله عز وجل.

ومع تقدير الإسلام لقانون السببية وتنفيذ النبى ﷺ له تنفيذاً بليغاً دقيقاً فأنا لا أعرف الآن أمة استهانت بقانون السببية، وخرجت عليه، واستَخفَّت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية اليوم.

وزعمت باسم التوكل، أن كل شئ يمشى بالفوضى، والعشوائية، والدروشة فلم تجنى إلا الذل، والضعف، والهوان، والذيلية لأخس أمم الأرض.

فنحن أولى الناس بأن نتعرف على إسلامنا، وديننا وأن نعلم أن ما نحياه من واقع مُر أليم إنما وقع وفق السنن الربانية الثابتة التى لا تتبدل ولا تتغير والتى لا تحابى أحداً من الخلق مهما ادعى لنفسه من مقدمات المحاباه.

رابعا: وكيف ينسى الصديق؟

نعم كيف يُنسى رجلٌ بأمة؟..

كيف يُنسى رجل جَنَّدَ ماله وبيته وعقله وفكره ودمه لدين الله عز وجل.. ولم يتلعثم فى إيمانه طرفه عين، فلقد كان الصديق طيفاً من الحنان..، وسحابة من الحب تُظِلّ رسول ﷺ.

وكأنى به يود لو صنع من جسده درعاً يحمى به رسول الله ﷺ. فهو يمشى أمام النبى ﷺ مرة ويمشى خلفه أخـرى، ويلتفت ويكثر الالتفات. فسألـه النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله إذا كنت خلفك خـشيتُ أن تُؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تُؤتى من خلفك» والحديث رواه ابن هشام وهو حـديث حسن بشواهـده واستمر أبـو بكر فى ذلك حتى لامست أقدامهما غار ثور.

بل خاف على رسول الله ﷺ أن يدخل إلى هذا الغـار المهجور قبل أن يطمئن هو على سلامته فيقول لرسول الله ﷺ: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ، فدخل فاستبرأ، أى تبين، ثم قال: انزل يا رسول الله.

يقول عمر رضى الله عنه:

«والذى نفسى بيده لعلك الليلة خير من عمر وآل عمر» والحديث رواه البيهقى وهو حديث مرسل لكن له شواهد ترقى به إلى درجة الحسن.

وتحتبس أنفـاس الصديق ويطير فؤاده وهو يرى أقـدام الطغاة الماردين من قريش حول باب الغار ويهجـم الخوف والرعب من شقوق الغار من سيوف الطغاه وعيونهم التى تتطاير شرراً وإجراماً.

وفى حوار هامس يقول للحـبيب المصطفى ﷺ يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا. فيـرد عليه الحبيب بلغة يحدوها الأمل..، وبقلب يملأه اليقين:

«**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1].

«**لا تحزن إن الله معنا**».. الله أكبر.

وإذا كان الأمر كذلك فوالله لو سار مع قريش كل الأحياء..، وانشقت

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٦١٠٩]، رواه البخارى رقم (٣٦٥٣)، ومسلم والترمذى والنسائى.

المقابر فخرج كل الأموات. . ، يسحبون أكفانهم خلف أبى جهل يقلبون معه حجارة الأرض. . ، ويزحزحون الجبال. . ، وينقبون فى الرمال. . ، ما قدروا أبداً على اثنين الله ثالثهما.

﴿ إلا تنصُرُوه فقد نصره اللَّه إذ أخرجَهُ الذين كفروا ثانىَ اثنين إذ هُما فى الغـار إذ يقُولُ لصاحبه لا تحـزن إن اللَّه معنا فأنزل اللَّه سكينَتَهُ عليه وأَيَدَّهُ بجنود لم تَرَوهَا وجعل كلمـة الذين كفروا السـفلى وكلمة اللَّه هى العليا واللَّه عَزيز حكيم﴾[1].

ومِنْ ثَمَّ استحق الصديق بجداره أن يتبوأ ذروة سنام الصديقين وأن يكون أحب الناس إلى قلب سيد البشرية ﷺ.

كما فى الحديث الذى رواه البخارى من حديث عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله، أى الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**. قلت من الرجال قال: **أبوها**. قلت: ثم من؟ قال: **عمر**[2].

وفى صحيح البخارى من حديث أبو هريرة أن النبى ﷺ قال:

«من أنفق زوجين فى سبيل اللَّه نودى من أبواب الجنة! يا عبد اللَّه هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِىَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعِىَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعِىَ من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعِىَ من باب الصدقة». قال أبو بكر: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: **«نعم وأرجوا أن تكون منهم»**[3].

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى رقم (٣٦٦٢) فى فضائل الصحابة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦/٣٦) فى الجهاد، ومسلم رقم (١٠٢٧) فى الزكاة، والنسائى (٦/٤٨) فى الجهاد.

خامسا: وللشباب دور

نعم فهذا عبد الله بن أبى بكر وعامر بن فهيره يقومان بواجبهما على أكمل وجه وهذا البطل الشريف والفدائى العظيم الذى علم الدنيا شرف البطولة. وحقيقة الفداء.

إنه الفدائى الذى أحب الله ورسوله، وأحبه الله ورسوله.. أنه تلميذ بيت النبوة الذى تربى فى حجر المصطفى ﷺ، وكفى أنه أسد الله الغالب: على بن أبى طالب الذى نام فى فراش النبى ﷺ وهو يعلم يقيناً أنه يقدم جسده للموت ويبيع نفسه لله ليفتدى حبيبه رسول الله ﷺ.

والشباب هم مستقبل الأمة وعلى أكتافه وسواعده تتقدم الحضارات.

من أجل ذلك فلقد كان ﷺ شديد الحفاوة بالشباب فهو الذى أخذ برأيهم فى غزوة أحد وهو الذى ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش وهو الشاب الذى لم يبلغ العشرين من عمره وجند هذا الجيش أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمرو بن العاص..!!

سادسا: وللمرأة دور

فهذه هى المجاهدة الصادقة الصابرة أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين رضى الله عنهما التى قدمت أروع المثل فى التضحية والتعقل.

تقول أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر وحمل ماله كله فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فَجِعكم بماله مع نفسه فقالت: كلا يا أبت، بل ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجاراً فوضعتها حيث كان أبى يضع المال ووضعت عليها

ثوبى، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبتى ضع يدك على هذا المال، فوضع يده فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن.

تقول أسماء: لا والله ومـا ترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك. والحديث رواه ابن إسحاق وأحمد بسند صحيح.

ولا عجب فإنها الزهرة التى تربت فى حقل الإسلام، ورباها الصديق بتربية القرآن والسنة.

وأخيراً: وقفة للتأمل .. سؤال هام

أيها الحبيب: لقد مضى عام من عمرك، فقربك إلى الله عاماً، وأبعدك عن الدنيا عاماً.

فهل تأملت وتدبرت هذا؟

وهل سألت نفسك : ماذا قدمت؟

فإن الإنسان يذكر القريب ولكن كلما ضرب الزمن بأيامه ولياليه. . ، فإن الجروح تندمل. . ، والمعالم تنمحى، وينشغل الإنسان بحاضره وينسى ما مضى.

ولكن. . ، هل ما ينساه الإنسان ينساه الديان؟؟

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبـك وابكـهـا يا مذنب

لـم ينسـه الملكان حـين نسيـتـه ... بـل أثـبـتـاه وأنـت لاه تـلعب

والـروح منـك وديـعة أُدعـتـهـا ... ستـردها بالرغـم منـك وتسلـب

وغـرور دنيـاك التى تسـعى لهـا ... دارٌ حـقيـقـتـها مـتـاع يذهـب

الليـل فـاعلم والنهـار كلاهمـا ... أنفـاسنـا فـيـها تعـد وتحـسـب

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبى يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويلُ
فلتنزلن بمنزلٍ ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقيلُ
ضرب الفناء بنا جميعاً
فلا يبقى العزيز ولا الذليل

فهيا أيها المسلمون لدين الله ودعوة رسول الله.

فكل واحد منكم يستطيع أن يدرك؛ ثواب الهجرة.. نعم.

ففى الحديث الصحيح عن مقبل بن يسار أن النبى ﷺ قال:

«العبادة فى الهرج كهجرة إلىّ»[1].

والمراد بالهرج هنا: الفتن، فالهرج: عندما تكثر الفتن وتنتشر الرذيلة وتغلب الرذيلة.

فالصبر على الدين والعبادة، ينال به التقى الصابر أجر وثواب الهجرة إلى رسول الله ﷺ.

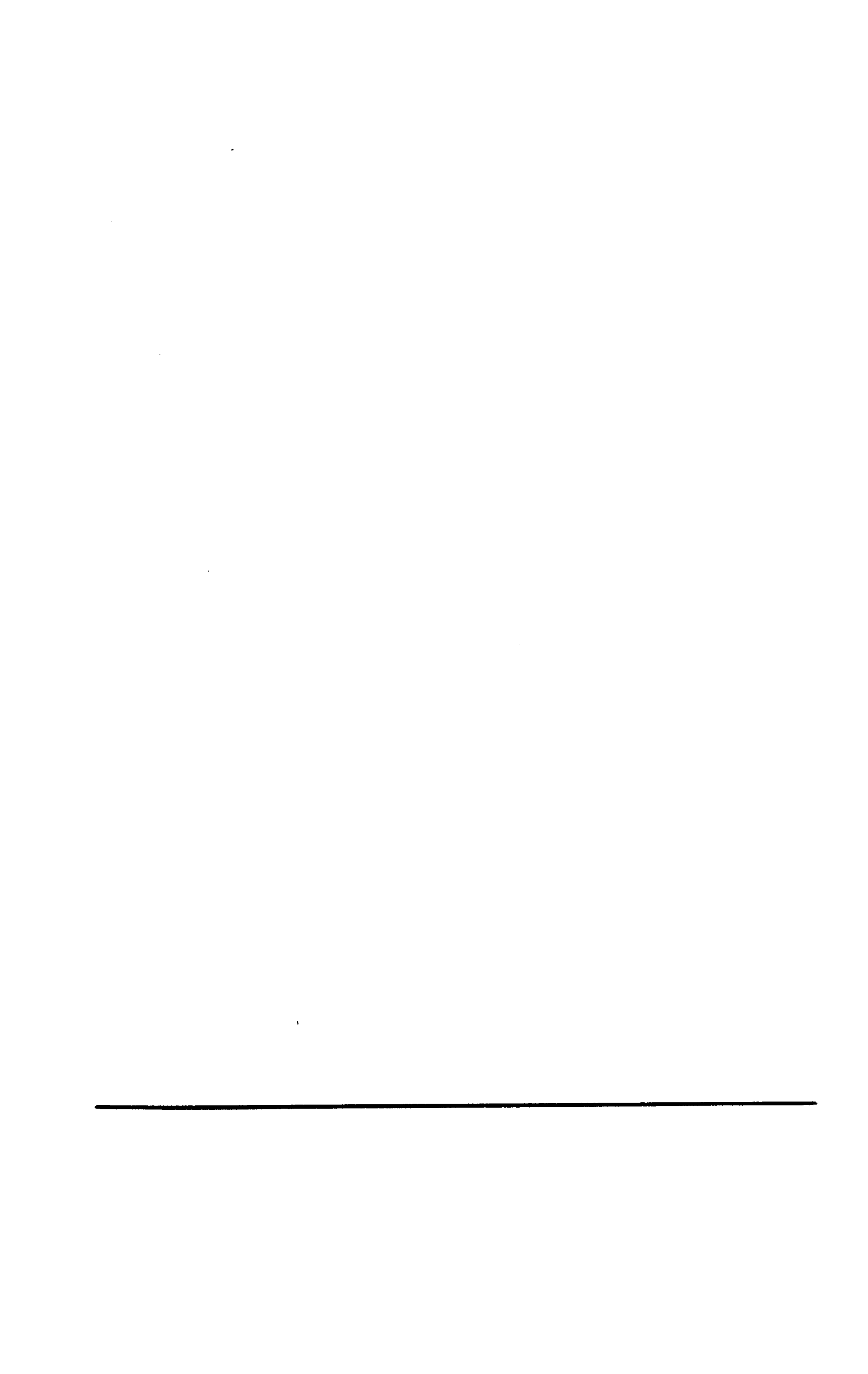
لأن الهجرة لم تُكَرَّم لأنها سفر من مكان إلى مكان.

فما أكثر الذين يسافرون فالهجرة لم تكرم على إنها سفر، لكنها كرمت لأنها انتقال عقدى ونفسى وفكرى وروحى إلى حيث يريد الله ورسوله ﷺ.

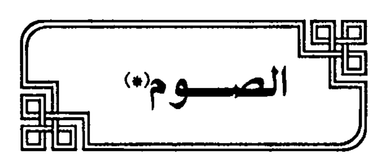
أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم ارزقنا قبل الموت توبة وعن الموت شهادة وبعد الموت جنة ورضواناً.. اللهم اهدنا وأهدِ بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى.. الدعاء.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٤١١٩]، [مختصر م: ٢٠٤٠]، رواه مسلم رقم (٢٩٤٨) فى الفتن، والترمذى رقم (٢٢٠٢) فى الفتن.



الخطبة الرابعة :



الصوم(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد أم القرى بالسويس.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

لقد كان موضوع خطبتنا الماضية (وصايا رمضانية) واليوم بإذن الله وعونه وحوله وطوله وتوفيقه فإن موضوعنا اليوم هو: «من أحكام الصيام».

وسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم فى العناصر التالية:

أولاً: معنى الصيام وحكمته.

ثانياً: أركان الصيام.

ثالثاً: مبطلات الصيام.

رابعاً: رخص الصيام وآدابه.

وأخيراً: أخطاءٌ فى الصيام.

أولاً: معنى الصيام وحكمته

الصيام لغةً: هو الإمساك والكفُ عن الشىء كما قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿**إنى نذرت للرحمن صوماً**﴾ أى إمساكاً عن الكلام.

والصيام شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، أما حكمة مشروعية الصيام: فهى كثيرة ولله الحمد.

فما من عبادة شرعها الله لعباده إلا لحكمة بالغة عَلِمَهَا من علمها وجَهِلَهَا من جهلها وليس جهلُنا بحكمة شىء من العبادات دليلاً على أنه

لا حكمة لها بل هو دليلٌ على عجزنا نحن إدراك حكمة الله سبحانه وتعالى القائل: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**.

ومِنْ ثَمَّ فإن من أعظم حكم الصيام أنه سبب للتقوى كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تقون﴾[1].

والتقوى هى وصية الله للأولين والآخرين من خلقه.

وهى كما عرفها ابن مسعود رضى الله عنه:

أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى..، وأن يشكر فلا يكفر.

وعرفها طلق بن حبيب بقوله:

التقوى هى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله..، ترجو ثواب الله..، وأن تترك معصية الله..، على نور من الله..، تخافُ عقابَ الله.

والصومُ من أعظم العبادات التى تهيىء النفوسَ لتقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

لأن الصوم أمرٌ موكولٌ إلى نفس الصائمِ، وضميره، إذ لا رقيب عليه إلا الله.

ومن هنا قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «كلُ عمل ابنِ آدمَ له، إلا الصومَ فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُثْ، ولا يَصْخَب، فإن شاتمه أَحَدٌ أو قاتله، فليقل: إنى صائم، إنى صائم،

---

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

والذى نفس محمد بيده، لخَلُوفُ فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا افطر فَرِحَ بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه»[1].

ومن حكمه العظيمة تربيةُ النفس بكفها عن شهواتها والحدّ من كبريائها حتى تخضع للحقِ وتلين للخلق.

ومن حِكَمِه البليغة. تذكيرُ الأغنياءِ الذين يرفلُون فى نعم الله جل وعلا بأن لهم إخواناً لا يتضورون جوعاً فى نهار رمضان فحسب بل فى جميع أيام العام..!! بل ومنهم من يموت جوعاً. ومِنْ ثَمَّ يتحركُ أصحابُ القلوبِ الحيةِ والنفوسِ الأبية للبذل والإنفاق والعطاء.

أما فوائدُ الصيام الصحية فلا يجهلُها أحد.

فما أعظمَ حكمةَ الله وأبلغَها وصدق الله إذ يقول: ﴿**ألا يَعلمُ مَنْ خَلَقَ؟ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير**﴾[2].

ثانياً: أركانُ الصيام

الركن الأول - النية:

وهى ركن فى جميع العبادات وهى عمل من أعمال القلب لقوله سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعبُدُوا اللَّهَ مُخلصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾[3].

ولقوله ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٤٣٢٨]، [مختصر م: ٥٧١]، رواه البخارى (٤/٨٨-٩٤) فى الصوم، ومسلم رقم (١١٥١) فى الصيام، وأبو داود رقم (٢٣٦٣) فى الصوم، والترمذى رقم (٧٦٤) فى الصوم، والنسائى (٤/ ١٦٢-١٦٥) فى الصوم.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) سورة البينة: ٢٥.

عمر بن الخطاب: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ....»** [١].

ويرى جمهورُ الفقهاءِ تبييت النية ليلاً فى صيام الفرض لما رواه أصحابُ السنن بسند صحيح عن حفصة رضى الله عنها أن النبى قال: **«من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له»**[٢].

وهذا خاص بصيام الفرض أما صيام النوافل فلا يجب فيه تبييتُ النية من الليل، بل يجوز بنية من ليل أو نهار، إن لم يكن قد طعم شيئاً للحديث الذى رواه مسلم وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها قالت:

دخل علىَّ النبىُ ذات يوم فقال: هل عندكم شىء. قلنا: لا، قال: فإنى إذاً صائم، ثم أتانا يوماً آخر، فقلنا: يارسول الله أُهدى لنا حيس[٣]، فقال: **«أرنييه فلقد أصبحت صائماً فاكل»**[٤].

وهنا سؤال: هل تكفى نيةٌ واحدة لصيام الشهر كله؟

والجواب أن العلماء قد اختلفوا فى ذلك على قولين:

الأول: للمالكية حيث قالوا بأن نيةً واحدةً فى أول الشهر تكفى لصيام الشهر كله.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١/ ٩/ ١)، (١٩٧/ ١٥١٥/ ٣)، وأبو داود (٢١٨٦/ ٢٨٤/ ٦)، والترمذى (١٦٩٨/ ١٠٠/ ٣)، وابن ماجة (٤٢٢٧/ ١٤١٣/ ٢)، والنسائى (٥٩/ ١).

(٢) **صحيح**: [الإرواء: ٩١٤]، رواه أبو داود رقم (٢٤٥٤)، وابن خزيمة رقم (١٩٣٣) فى صحيحه.

(٣) حيس: تمر يخلط بسمن وأَقِط فيعجن شديداً، وربما جعل فيه سويق.

(٤) **صحيح**: [مختصر م : ٦٣٠]، رواه مسلم رقم (١١٥٤) فى الصيام، والنسائى (٤/ ١٩٣-١٩٥) فى الصوم، والترمذى رقم (٧٣٣، ٧٣٤) فى الصوم، وأبو داود رقم (٢٤٥٥) فى الصوم، وابن خزيمة (٢١٤١) فى صحيحه.

أمـا القولُ الثـانى وهو الراجح والله تعـالى أعلى وأعلم وهو قـولُ جمهورِ الفقهاء حيث قالوا لابد من تبييت النية لكل يوم.

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يشـترط التلفظُ بالنية وإنما يكفى أن ينوى بقلبه. فضلاً عن أن سحوره يعتبر نية والحمد لله على تيسيره وفضله.

هذا هو الركن الأول من أركان الصيام.

الركنُ الثانـى - الإمساك عن جـميع المفطِّرات من طلوع الفـجر إلى غروب الشمس:

لقوله سبحانه: ﴿**وَكُلُوا وَاشـرَبُوا حَتَّى يَتَبَـيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِيَّامَ إِلَى الليلِ**﴾[1].

والمرادُ بالخيط الأبيضِ بياضُ النهار. والمراد بالخيط الأسود سوادُ الليل.

لما ورد فى الصحيحين من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه:

قـال لما نـزلت هذه الآية: ﴿**وكلوا واشربـوا حتى ..**﴾ عمـدت إلى عقالٍ أسود وإلى عـقالٍ أبيض فجعلتهما تحت وسـادتى فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبينُ لى، فلما أصبـحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه فضحك النبى ﷺ وقال: «**إن وسادك إذاً لعريض طويل إنما هو سوادُ الليل وبياض النهار**»[2].

ولا شك أن **الركن الثالث هو الصائم** نفسُه ويشترط أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً قادراً على الصوم وهذا بَيِّن للجميع بإذن الله.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٢٢٧٥] مختصر البخارى رقم (٩٣٠)،ورواه مسلم رقم (١٠٩٠) فى الصوم.

ثالثاً : مبطلاتُ الصيام

ونبدأُ بأشدها وأكبرها إثماً وهو :

أولاً - الجِماع :

فمتى جامع الصائمُ فى نهار رمضان بَطَل صومُه ووجب عليه القضاءُ والكفارةُ المغلظة وهى :

عتقُ رقبةٍ مؤمنة . فإن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين لا يُفْطِرْ بينهما إلا لعذر شرعى ، كأيام العيدين ، أو لعذر حسىٍّ كالمرض ، فإن أفطر لغير عذرٍ ولو يوماً واحداً أَلْزَمَهُ أن يستأنف الصيام من جديدٍ مرةً أخرى ليحصل التتابع .

فإن لم يستطع فإطعامُ ستينَ مسكيناً .

واختلف الفقهاء فى حكم الكفارة هل هى على الترتيب أم على التخيير والراجح أنها على الترتيب وهو ما ذهب إليه الجمهور .

والدليل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : «بينما نحنُ جلوسٌ عند النبي ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال : يا رسول الله هلكت . !

وفى رواية فى الصحيح أيضاً قال : يا رسول الله احترقت!

فقال النبى : مالك؟

فقال : وقعتُ على امرأتى وأنا صائم .

فقال رسول الله ﷺ : هل تجدُ رقبة تُعْتِقُها؟

قال : لا .

قال : فهل تستطيعُ أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال: لا.

قال: فهل تجدُ إطعامَ ستينَ مسكيناً؟

قال: لا.

قال: فمكث النبى ﷺ فبينا نحنُ على ذلك أُتِىَ النبىُ ﷺ بعرَق (أى بِمكْتَلٍ) فيها تمر.

فقال النبى: أين السائل. وفى رواية عائشة أين المحترقُ آنفاً.

فقال: أنا يا رسول الله.

قال: خذ هذا فتصدق به.

فقال الرجل: على أفقرَ منى يا رسول الله؟! فوالله ما بين لابتيها (أى المدينة) أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهل بيتى.

فضحك النبى حتى بدت أنيابُه ثم قال: أطعْمهُ أهْلَك»[١].

واختلف الفقهاء أيضاً على ثلاثة أقوال فى حُكم المرأة التى يكرهها زوجُها على الجماع فى نهار رمضان.

والراجح والله أعلم أن عليها القضاءَ فقط، دونَ الكفارة إذا أجبرها الزوج، ولم يثبت دليلٌ صحيح يُلزمُها بالكفارة.

ثانياً - إنزالُ المنىِّ باختياره بتقبيلٍ أو لمسٍ أو استمناء باليد أو غير ذلك:

لأن هذا كلَّه من الشهوة التى لا يكونُ الصومُ إلا باجتنابها كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى وفيه: **«يدَعُ طعامَه وشرابه وشهوته من أجلى»**[٢].

(١) **متفق عليه**: [الإرواء: ٩٣٩]، رواه البخارى (٤/ ١٤١ - ١٤٩و١٥١)، ومسلم (٣/ ١٣٩)، وأبو داود رقم (٢٣٩٠) وغيرهم.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٣٨٧٧]، رواه البخارى فى كتاب الصيام، وأبو داود رقم (٢٣٦٣).

* فمن أنزل منياً بشهوةٍ فى نهار رمضان بطل صومُه، ووجب عليه القضاء فقط إذ لم تثبت الكفارةُ إلا فى الجماع فقط، ولا حجة لمن قال بخلاف ذلك. والله أعلم.

* أما الإنزالُ بالاحتلام. فلا يبطل الصوم لأن الاحتلام بغير اختيار من الصائم. فإذا نام الصائمُ فى نهار رمضان ثم استيقظ، فرأى أنه قد احتلم، فليغتسلْ وليتمَّ صومَه وصيامُه صحيحٌ ولا شىء عليه.

* وأما إن قَبَّلَ الصائمُ زوجته أو باشرها بدون إنزال فلا شىء عليه، وصيامه صحيح لما ورد فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها «أن النبى ﷺ كان يُقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه كان أمْلككم لإرْبه»[1].

* ويبقى سؤالٌ هام متعلقٌ بهذا البحث وهو: ما حكمُ من جامع زوجته فى الليل ثم نام ولم يغتسل حتى أذن الفجر؟

والجواب أن صيامَه صحيح لما رواه البخارى ومسلم عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أن النبى كان يدركه الفجرُ وهو جنبٌ من أهله ثم يغتسل ويصوم»[2].

ثالثاً - من مبطلات الصيام الأكلُ والشربُ عمداً :

لقوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾**[3].

---

(١) متفق عليه: [الإرواء: ٩٣٤]، رواه البخارى (١/ ٤٨٠)، ومسلم (٣/ ١٣٥)، وأبو داود رقم (٢٣٨٢)، والترمذى (١/ ١٤١)، وابن ماجه (١٦٨٧) وغيرهم.
(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٤٩٣٨].
(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

أما من أَكَلَ أو شربَ فى نهار رمضان ناسياً فلا شىء عليه، وصومه صحيح للحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«من نسى وهو صائم، فأكل أو شربَ فليتمُ صومَه، فإنما أطعمه الله وسقاه»**(١).

رابعاً - من مبطلات الصيام القىءُ عمداً :

وهو أن يتعمد الصائمُ إفراغَ ما فى معدته فإن فعل ذلك بطل صومه ويجب عليه القضاء، أما من غلبه القىءُ بدون رغبةٍ منه ولا اختيار فلا شىء عليه وليتمَّ صومَه وصيامُه صحيح.

لما ورد فى الحديث الذى رواه الترمذى وأبو داود وصححه الحاكمُ فى المستدرك وصححه أيضاً شيخ الإسلام ابنُ تيمية فى كتابه «حقيقة الصيام». وفيه أنه ﷺ قال: **«من ذرعه القىء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض»**(٢).

خامساً - من مبطلات الصيام الحيضُ والنفاسُ للمرأة:

فمتى رأتُ المرأةُ دمَ الحيض أو النِّفاس بطل صومُها، سواءٌ كان فى أول اليوم، أو فى آخرهِ، ولو قبل الغروب بلحظات، ويجب عليها بعد الطُّهر أن تقضى ما فاتها من أيامها.

لما ورد فى صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها لما سئلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ فقالت: «كان يُصيبنا

---

(١) **متفق عليه**: [الإرواء: ٩٣٨]، رواه البخارى (١/ ٤٨١)، ومسلم (٣/ ١٦٠)، وأبو داود رقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه (١٦٧٣) وغيرهم.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٦٢٤٣، الإرواء: ٩٣٠]، رواه أحمد (٢/٤٩٨)، وأبو داود (٢٣٨٠)، وغيرهم.

ذلك فنؤمرُ بقضاءِ الصومِ ولا نؤمرُ بقضاءِ الصلاة»[١].

هذه هى أشهرُ المفطِّرات بإيجاز شديد.

رابعاً - من عناصر اللقاء : رُخصُ الصيام وآدابه

هناك رخص عديدة امتن الله بها على عباده دفعاً للحرج ورفعاً للمشقة . . ومنها:

١- جوازُ الفطرِ فى نهار رمضان للمريض، وكذا للمسافر الذى يشق عليه الصوم.

لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أيامٍ أُخر يُرِيدُ اللَّه بِكُم اليُسرَ ولا يُرِيدُ بكُم العُسر﴾**[٢].

٢- ومنها جوازُ استخدام السواك فى كل وقت للصائم، قبل الزوال، وبعد الزوال، وهذا هو القول الصحيح إن شاء الله تعالى. واستدلالُ بعضِ أهل العلم بعدم الجواز بعد الزوال بحديث على رضى الله عنه مرفوعاً: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشى» فهو حديث رواه البيهقى والدارقطنى وهو حديث ضعيف جداً[٣].

فالسواك مشروع للصائم فى كل وقت وبخاصة فى المواضع التى ورد النصُ بذكرها وهى ستة:

١- عند الصلاة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه مسلم (٣٣٥/ ٢٦٥/ ١) وهذا لفظه، والبخارى (٣٢١/ ٤٢١/ ١)، والترمذى (١٣٠/ ٨٧/ ١)، وأبو داود (٢٥٩/ ٤٤٤/ ١)، وابن ماجه (٦٣١/ ٢٠٧/ ١).

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

(٣) انظر السلسلة الضعيفة: ٤٠١

٢- وعند الوضوء.

٣- وعند دخول المنزل.

٤- وعند الاستيقاظ من النوم.

٥- وعند قراءة القرآن.

٦- وعند تغير رائحة الفم.

٣- ومن الرخص أيضاً المضمضةُ والاستنشاق بدون مبالغة. خشية أن يصل شىء من الماء إلى الحلق فيَبطُلُ صومه بذلك. للحديث الذى رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وأحمد من حديث لقيط بن صبرة أن النبى ﷺ قال له: «**وبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً**»[1].

٤- ومن الرخص أنه يجوز للمرأة أن تتذوق الطعام أثناء الطهى بشرط ألا يصل إلى جوفها.

٥- ومن الرخص أن يجوز للصائم أن يخفف عن نفسه شدة الحر والعطش بالاغتسال والتبرد بالماء لما ورد فى الحديث الصحيح عن أبى بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: «**رأيت النبى يصبُ الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو من الحر**»[2].

٦- ومن الرخص أيضاً أنه يجوز للصائم إن احتاج أن يضع الدواء فى أذنه أو عينه، حتى ولو وجد طعمه فى حلقه، لأن ذلك ليس بأكل

---

(١) **صحيح**: [ص.د: ١٢٩، ١٣٠]، رواه أبو داود رقم (١٤٢، ١٤٣، ١٤٤) فى الطهارة، والترمذى رقم (٣٨) فى الطهارة، والنسائى (١/٦٦)، وأحمد فى مسنده (٤/٣٣)، والحاكم (١/١٤٧، ١٤٨).

(٢) **صحيح**: [ص.د: ٢٠٧٢]، رواه أبو داود رقم (٢٣٤٨).

ولا شرب ولا بمعنى الأكل والشـرب كما قـال شيخ الإسلام ابن تيمـية رحمه الله تعالى.

وكذا يرخص للصائم إن كـان مريضاً بالربو أن يستخـدم البخاخ فى حال أزمة فى التنفس وليتم صومه، وصيامُه صحيح لأن هذا البخاخ ليس أكلاً ولا شرباً ولا هو بمعنى الأكلِ والشرب أيضاً ولله الحمد والمنة.

أما آداب الصيام فمنها:

١- السحـور لقوله ﷺ فى الحـديث الذى رواه البخـارى ومسلم: «**تسحروا فإن فى السحور بركة**»[1].

ويتحقق السحور بقليل الطعام ولو بجـرعة ماء والمستحب تأخيره لما ورد فى الصحيحين من حديث أنس عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: تسـحرنا مع رسـول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصـلاة. قلتُ (أى أنس) كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «**قدرُ خمسين آية**»[2].

٢- ومنها تعـجيلُ الفطر لحديث سـهل بن سعدٍ فى الصحـيحين أن النبى ﷺ قال: «**لا يزالُ الناسُ بخير ما عَجَّلوا الفطر**»[3].

ومن السنة أن يكون على رطب فـإن لم يجد فعلى تمر فـإن لم يجد فعلى الماء.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٢٩٤٣]، [مختصرم م: ٥٨]، رواه البخارى (١٩٢٣/١٣٩/٤)، ومسلم (١٠٩٥/٧٧/٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخـارى (١٩٢١/١٣٨/٤)، ومسلم (١٠٩٧/٧٧١/٢)، والتـرمذى (٦٩٩/١٠٤/٢)، والنسائى (١٤٣/٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخـارى (١٩٥٧/١٩٨/٤)، ومسلم (١٠٩٨/٧٧١/٢)، والتـرمذى (٦٩٥/١٠٣/٢).

٣- ومن آدابه الدعاء عند الإفطار فإن دعوة الصائم لا ترد ومن أحسن ما ثبت عنه ﷺ ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند حسن أنه ﷺ كان إذا أفطر يقول: **«ذهب الظما وابتلت العروقُ وثبت الأجرُ إن شاء الله »**(١).

٤- ومن آداب الصيام الواجبة تركُ الغيبة والنميمة وقول الزور فإذا صامت بطنك أيها الحبيب عن الطعام والشراب فلتصم جميعُ جوارحِك عن جميع المعاصى والآثام.

اسأل الله جل وعلا أن يجعلنى وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وأخيراً . . أخطاءٌ فى الصيام.

لا ريب أن الصائمين من خير عباد الله تعالى لكنْ هناك بعضُ الأخطاء يقع فيها أيضاً بعضُ الصائمين ومنها:

١- أن منهم من يقبل على العبادة فى أول رمضان إقبالاً طيباً فيحافظ على الصلاة مع الجماعة، ويحرص على قراءة القرآن، وإكثار الذكر، والاستغفار، ويحرص على صلاة التراويح، فإذا انقضت الأيام الأولى، تكاسل، وانشغل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتذكر أيها الحبيب قول النبى ﷺ: **«أحبُ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قل»**(٢).

واذكر قوله: **«إنما الأعمال بالخواتيم»**(٣).

٢- ومن الأخطاء الكبيرة التى يقع فيها بعض الصائمين القسوة والفظاظة والغلظة، وسوءُ التعامل مع الموظفين أو الآخرين، بحجة أنهم صائمون.

---

(١) **حسن**: [ص.د: ٢٠٦٦]، رواه أبو داود رقم (٢٣٥٧) فى الصوم.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ١٦٣]، رواه البخارى، ومسلم رقم (٧٨٣) فى الصلاة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١١/ ٤٣٦) فى القدر، وفى الجهاد، وفى المغازى، وفى الرقاق، ومسلم رقم (١١٢) فى الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه.

وهل الصوم يأمرك بالتصرفات المتشنجة؟ أو يحثك على استعمال الألفاظ النابية، أو يحضك على القسوة والفظاظة والغلظة، هيهات.. هيهات.

إن الصوم مدرسةٌ للتربية على كل فضيلة وخلق.

واذكر دوماً وصية النبى ﷺ فى الصحيحين: **«والصيام جنة فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم.. إنى صائم»**[1].

٣- ومن الأخطاء التى يقع فيها بعضُ الصائمين أيضاً أنهم يتخذون رمضان فرصة للنوم والكسل والخمول، فترى أحدهم ينام النهار كله وقد يضيع الصلاة والعياذ بالله ثم يسهر الليل. وقد يحتج أحدهم بحديث (نوم الصائم عبادة) وهو حديث ضعيف[2].

٤- ومن الأخطاء الكبيرة التوسعُ الملفت فى المآكل والمشارب والتخلص من الكميات الكبيرة الفائضة بإلقائها فى سلة المهملات وهذا إسراف محرم وهذا بلا شك يناقض الحكمة من مشروعية الصيام أصلاً.

ورحم الله من قال: «إنكم تأكلون الأرطال، وتشربون الأسطال، وتنامون الليل ولو طال، وتزعمون أنكم أبطال؟!».

فالمقصود الاعتدالُ وإلا فنحن لا نحرّمُ طيبات ما أحل اللهُ لعباده.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل الله منا صيامنا وقيامنا وصلاتنا وزكاتنا إنه ولى ذلك ومولاه... الدعاء.

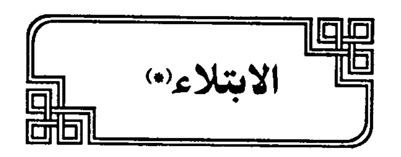
* * *

(١) تقدم ص ٧٢.

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للألبانى: ٤٦٩٦.



الخطبة الخامسة :



الابتلاء(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

(*) ألقيت هذه الخطبة بساحة مسجد النبى موسى - السويس.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

﴿ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[1].

والفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان كثيرة:

* ومن بين هذه الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى والاضطهاد من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذى يسانده ويدفع عنه الأذى، ولا يملك لنفسه النصره أو المنعة ولا يجد القوة التى يواجه بها الطغيان، وهذه هى أبرز الصور التى تقفز للأذهان إذا ما ذكرت الفتن التى يتعرض لها أهلُ الإيمان وبالرغم من ذلك فإن هناك من الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان ما هو أمر وأدهى من ذلك!!

* فهناك فتنة الأهل والأولاد والأحباء الذين يخشى أن يصيبهم الأذى بسببه؟ وقد يهتفون به ويتوسلون إليه، وينادونه باسم الحب والقرابة أن يسالم أو يستسلم فى الوقت الذى لا يملك عنهم دفعاً وهذه من أشد الفتن.

وقد تزداد الفتنة إذا وقع بهم الأذى والابتلاء أمام عينه وبين يديه وهو لا يستطيع أن يدفع عنهم أذى أو يرد عنهم سوء.

* وهناك فتنة أخرى خطيرة، إنها فتنة إقبال الدنيا على المبطلين والعاصين والمذنبين والظالمين ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين تهتف لهم

---

(١) سورة العنكبوت: ١-٣.

الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم فى طريقهم العوائق، وتذلل لهم الصعاب، وتفتح لهم الأبواب وتهيىء لهم الأسباب.

تصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، والمؤمن مُهملٌ منكر لا يحس به أحدٌ، ولا يدافع عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذى معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً.

* وهناك فتنة الغربة فى هذا الدين. متى ينظر المؤمن فيرى معظم ما حوله ومَنْ حوله غارقاً فى تيار الضلالة والشهوات والشبهات، وهو وحده غريب طريدٌ شريد.

* وهناك فتنة نراها بارزة فى هذه الأيام ألا وهى أن المؤمن يجد أمماً ودولاً غارقة فى الرذيلة والمعصية وبالرغم من ذلك فإنها راقية فى مجتمعها متحضرة فى حياتها، ويجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يليق به كإنسان!!!

* وهناك الفتنة الكبرى فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض والطين، وصعوبة الاستقامة على صراط الله المستقيم.

كل هذه فتن. فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقصى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولن يثبت إلا من عصمه الله عز وجل.

فما هى الحكمة من كل هذه الفتن والابتلاءات التى يبتلى الله بها المؤمنين؟! فى الوقت الذى ينتشى فيه الظالمون ويبغى فيه المبطلون.

حاشا لله: أن يعذب المؤمنين بالابتلاء وأن يؤذيهم بالفتن كلا ولكن الإعداد الحقيقى لتحمل الأمانة الكبرى والمسئولية العظمى والعقيدة العليا لأنها فى حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة، وإلا بالاستعلاء

الحقيـقى على الشهوات، وإلا بالصـبر الحقيقى على الآلام، وإلا بـالثقة الحقيقية فى نصر الله أو فى ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الإبتلاء.

فكما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، كذلك تصنع الفتن بالنفوس تصهرها فتنفى عنها الخبث.

وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتـنة، ويقع عليهم البلاء حسبهم أن يكونوا هم المخـتارين من الله ليكـونوا أمناء على حق الله وعلى دين الله عز وجل.

وأن يشهـد الله لهم بأن فى دينهم صلابـة. وفى عقيـدتهم قوة فـهو سبحانه يختارهم للابتلاء. فإنه كما قال المصطفى ﷺ:

«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلباً، اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدْر دينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

ويقول المصطفى ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجدُ إلا العباءة يجوبها[2]، فيلبسها، ويُبتلى بالقمل حتى يقتلُه، ولأحدُهم كان أشدُّ فرحاً بالبلاءِ من أحدكم بالعطاء»**[3].

* قال ابن القيم رحمه الله:

إن الله سبـحانه وتعالى اقتـضت حكمته أنه لابد أن يمتـحن النفوس

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٩٩٢]، [المشكاة: ١٥٦٢]، [الصحيحة: ١٤٣] من حديث سعد.

(٢) يجوبها: أى يقطع وسطها ليلبسها.

(٣) **صحيح**: [الصحيـحة: ١٤٤]، [ص.ج: ٩٩٥] رواه البيهـقى وأبو يعلى والحاكم من حديث أبى سعيد.

ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التى تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذى لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس فى الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج فى هذه الدار وإلا ففى كير جهنم، فإذا هذب العبد ونُقى أُذن له فى دخول الجنة»[١].

وليس أحدٌ أغير على الحق وأهله من الله.. ولكنها سنة الله الجارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف.

﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللَّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٢].

فما الذى لاقاه نوح عليه السلام؟، وما الذى لاقاه إبراهيم؟، وما الذى لاقاه موسى؟، وما الذى لاقاه عيسى؟، وما الذى لاقاه محمد ﷺ؟ وهم أطهر الناس وأشرف الناس، اصطفاهم الله عز وجل واختارهم وأحبهم إلى الله وأقربهم إلى الله هو حبيبه ومصطفاه محمد ﷺ.

فلقد ورد فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قام يوماً يصلى فى حجر الكعبة فأقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق النبى فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله»[٣].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (١٨/٣) ط. الرسالة بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

(٢) سورة العنكبوت: ٣.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى فى مناقب الأنصار (٢٠٣/٧).

وورد فى البخارى أيضاً أن هذا الفاجر عقبة بن أبى معيط جاء يوماً على رسول الله ﷺ بسلى جزور فقذفه على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد فلم يرفع رسول الله ﷺ رأسه حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها فرفعته عن ظهر المصطفى ﷺ فرفع رأسه ثم قال: **«اللهم عليك بقريش»** ثلاث مرات[١].

وتعلمون ما الذى حدث له بالطائف فضلاً عن وصفهم له بالسحر والجنون واتهموه فى شرفه وعرضه. ها هو ذا رسول الله ﷺ وهو فى الذروة من بنى هاشم، ها هو ذا يرمى فى بيته وفى من؟! فى عائشة التى أحبها من قلبه. ها هو ذا يُرمى فى طهارة فراشه وهو الطاهر الذى تفيض منه الطهارة. وها هو ذا يرمى فى صيانة حرمته وهو القائم على صيانة الحرمات فى أمته. إنها أشد فتنة على الإطلاق تعرض لها رسول الله ﷺ وهو الحبيب عند ربه جل وعلا. بل أظنها أضخم المعارك التى خاضها رسول الله ﷺ.

إنها الفتن والابتلاءات ولقد ورد أيضاً فى صحيح البخارى عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ـ ولقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت: يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا، ألا تستنصر لنا، فقعد وهو مُحمرٌ وجهه فقال: **«لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط من الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ اللّه هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى**

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى الوضوء، ومسلم فى الجهاد والسير، والسلى: هى الجلدة التى تكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم، وأما من الآدميات فالمشيمة.

حضرموت لا يخاف إلا الله»[1].

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبى ﷺ وله من الجلال والوقار فى نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام، لا سيما الضعفاء منهم فأنتم تعلمون ما الذى كان يُفعل ببلال وخباب وآل ياسر وصهيب وابن مسعود وغيرهم ممن قالوا: لا إله إلا الله.

فضربوا لنا أروع الأمثلة فى الصبر على البلاء والتضحية لهذا الدين حتى ولو كانت بالأرواح والأبدان.

فلقد كان الدين عندهم أغلى من أى شىء حتى من أرواحهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم.

ولذلك أيدهم الله بنصره كما نصر المؤمنين من قبلهم وينصر الموحدين من بعدهم.. وتكون العاقبة على من عاداهم وانظر كيف كان عاقبة المجرمين..!!

* فأين فرعون الذى قال لقومه ما علمت لكم من إله غيرى؟ والذى قال لقومه أنا ربكم الأعلى؟ والذى قال: يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى؟ فأجراها الله من فوقه!

* وأين هامان؟ وأين قارون؟ وأين عاد؟ وأين ثمود؟

﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا وما كان اللَّه ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[2].

---

(١) صحيح: رواه البخارى فى مناقب الأنصار، وأحمد (٥/١٠٩).

(٢) سورة العنكبوت: ٤.

وصدق من قال:

أين الظالمون وأين التابعون لهم في الغي بل أين فرعون وهامان؟
وأين من دوخوا الدنيا بسطوتهم وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان؟
أين الجبابرة الطاغون ويحهموا؟ وأين من غرهم لهو وسلطان؟
هل أبقى الموت ذا عزٍ لعزته؟ أو هل نجا منه بالأموال إنسان؟
لا والذي خلق الأكوان من عدم الكل يفنى فلا أنس ولا جان

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد﴾[١].

فمهلاً أيها الظالمون.. محال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون.. فاعملوا ما شئتم إنا عاملون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[٢].

أيها المظلوم صبراً لا تهن إن عين الله يقظى لا تنام
نم قرير العين واهنأ خاطراً فعدل الله دائم بين الأنام
وإن أمهل الله يوماً ظالماً فإن أخذه شديد ذو انتقام

أيها الظالمون:

«اتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويقول لها وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[٣].

---

(١) سورة الفجر: ٦-١٤.
(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.
(٣) **صحيح**: [ص.ج: ١١٨، الصحيحة: ٨٧٠] رواه الحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

احذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دعاءه لا يحجب.

ولا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً   فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

وتبقى لى نصيحة أخيرة لجميع المسلمين:

فيا أيها المسلمون: إن كان الشيوخ عقول الأمة التى تفكر فإن الشباب هم سواعدها التى تبنى وتعمر وهل يمكن لعقل أن يأتى مجرداً لا يمشى على رجلين، ولا يقوى بساعدين.

إن الشباب هم مستقبل الأمة وعلى أكتافه وسواعده تقوم الحضارات من أجل ذلك فلقد كان الرسول ﷺ شديد الحفاوة بالشباب فهو الذى أخذ برأيهم فى غزوة أحد وهو الذى ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش وهو الشاب الذى لم يبلغ العشرين من عمره وجُند هذا الجيش أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمرو بن العاص!! وإلى أى الجهات كانت وجهة الجيش؟! إلى الروم ! ليناطح الصخور الصماء.

هكذا ينبغى أن يعامل الشباب لأنه فى حاجة إلى توجيه من أبوة حانية أو من أخوة صادقة... إنه فى حاجة إلى محاورة.. إلى حديث العقل والروح إنه فى حاجة إلى أن تحترم عقولهم وأن تصان آدميتهم وأن يقدر فكرهم.. فهم أبناؤنا وأخواننا وأحبابنا.

* أما أنتم أيها الشباب فتمسكوا بدينكم، واعتزوا بإسلامكم وتوحيدكم وتخلقوا بأخلاق نبيكم، وادعوا الناس إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة فإن العنف يهدم ولا يبنى وإن الشدة تفسد ولا تصلح **﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم**

في الأمر فإذا عزمت فتوكل على اللَّه﴾[1].

أيها الشباب دعوا الفرقة بينكم، ووحدوا صفوفكم، ولا تختلفوا فيما بينكم فتختلف قلوبكم، واتركوا الألقاب والشعارات، وتجردوا من كل الأسماء والمسميات واخفضوا جميع الرايات، والشعارات، إلا راية التوحيد لرب الأرض والسموات.

اتحدوا فإن في اتحادكم عزاً ورفعة. **﴿واعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين اللَّه لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوهٌ وتسود وجوهٌ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة اللَّه هم فيها خالدون﴾**[2].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين وأن يوحد كلمة المسلمين بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين... الدعاء.

* * *

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣-١٠٧.

الخطبة السادسة :

حجة النبى عليه الصلاة والسلام(*)

الحمـد لله الذى نور بكتابه القلوب.. وأنزله فى أوجز لفظ وأعـجز أسلوب.. فأعيت بلاغتُه البلغاء..

وأعجزت حكمتُه الحكماء.. وأبكمت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهـد أن محمـداً عبده ورسـوله وصفيه مـن خلقه وخليله البشـير النذير.. السراجُ المزهر المـنير.. خيرُ الأنبـياء مقـاماً.. وأحسنُ الأنبـياء كلاماً.

رافع الإصر والأغلال.

والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان:

مغضوب عليهم جفاه.. وضالون غُلاه.

فجاء بالدين الوسط..، وحذر من الزيغ والشطط..، وتركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم أجزه عنا خـير ما جزيت به نبياً عن أمـته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الراجحى - القصيم - المملكة العربية السعودية.

وبعد.. فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال، وأن يجمعنا وإياكم فى الدنيا على طاعته وفى الآخرة فى جنته ودار كرامته.

أحبتى فى الله:

وهذا هو لقاؤنا الثانى مع هذا الموضوع الكريم.. وأود أن أوضح فى البداية أن كلمة رحلة ليست بمعنى النزهة أو الفسحة وإنما الرِّحْلة والرُّحْلة والتَّرحُل والارتحال بمعنى الانتقالِ والمسير يُقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل بمعنى سار ورجل وحول وقوم رُحّلٌ أى يرتحلون كثيراً. وفى حديث ابن مسعود إنما هو رَحْل أو سَرْج فرَحْلٌ إلى بيت الله وسَرّجٌ فى سبيل الله يريد أن الإبل تُركب فى الحج والخيلُ تركب فى الجهاد.

وأنما أردت أن أبين ذلك لأن بعض الأحبة قد ظن أن الرحلة بمعنى النزهة والفسحة ورأى أنها لا تليق بحج بيت الله الحرام فأردت التوضيح والبيان ومِنْ ثَمَّ فتعالوا بنا لنرحل سوياً على جناح السرعة لنعيش مع الحبيب المصطفى ﷺ فى حجته الوحيدة والتى تُسمى بحجة الوداع.

وقد ورد فيها حديثٌ طويل عظيم يشتمل على كثير من الفوائد والنفائس والقواعد الفقهية الجليلة حتى صنف فيه الإمامُ أبو بكر بنُ المنذر جزءاً كبيراً وخرج منه ما يزيدُ على مائة وخمسين مسألةً من مسائل الفقة وتعقبه الإمام النووى فقال ولو تقصى لزاد على هذا القدر من المسائل ما يساويه.

وهذا الحديث العظيم الجليل من أفراد مسلم أى رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ولم يروه الإمام البخارى فى

صحيحه والحديث: عن جعفـر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبـد الله رضى الله عنه فسأل عن القـوم حتى انتـهى إلىّ فقلت: أنا محمد بنُ على بن حسين... فقال جابر مرحباً بك يا ابن أخى سل عما شئت.

قال محمد بنُ على بنِ الحسين فسألته وهو أعمى فقلت: أخبرنى عن حجةِ رسول الله ﷺ...

فقال جابر: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يَحُجّ ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌ.

وقد استدل بعضُ أهلِ العلم بـهذا على جواز التراخى فى الحج لأن الرسول ﷺ فُرض عليه الحج سنة تسع عند أكثر أهل العلم من المحققين وأخره النبى إلى السنة العاشرة ولكن النبىّ أخره لعذر لأنه كره الاختلاط فى الحج بأهل الشرك لأنهم كـانوا يحجون ويطوفـون بالبيت وهم عُراه فلما طهر الله البيت الحرام منهم حج النبى ﷺ.. ولذا فمن يسر الله له النفقـة والاستطاعة وجب عليـه الحج فوراً لقـول النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه أحمد وهو حـديث حسن: «**تعجلوا الحج يعنى الفريضة فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له**».

يقول جـابر بن عبـد الله رضى الله عنه: ثم أذن فى الناس فى السنة العاشرة أن رسـول الله حَاجٌ فقدم المدينة بشرٌ كثـير كلُهم يلتمَسُ أن يأتم برسول الله ﷺ ويعملَ مثلَ عملِه.

يقول جابر: فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُليفة.

* وذو الحُليفة ميقاتُ أهل المدينة والذى يُسمى اليوم (بأبيار على).

* والميقاتُ الثـانى هو الجُحفة وتعرف الآن برابغ وهى مـيقاتٌ لأهل الشام ومصر ومن مر بها.

* والميقـات الثالث هو قـرنُ المنازل ويُعرف الآن بالسيل الكبير وهو ميقاتٌ لأهل نجد والطائف ومن مر به.

* والميقات الرابع هو يَلَمْلَم ويعرف الآن بالسعدية وهو ميقاتٌ لأهل اليمن ومن مر به.

هذه هى المواقيتُ المكانية لمن أراد الحج أو العمرة فيجب عليه أن يحرم منها أو بمجـازاتها ومن تجاوزها بدون إحـرام فعليه دمُ جبـران وهو قولُ جمهورِ أهل العلم.

يقول جـابر: فخـرجنا مع رسول الله حـتى أتينا ذا الحليفـة فولدت أسمـاءُ بنت عُمَيْسٍ محـمدَ بنَ أبى بكر فـأرسلت إلى رسـول الله كيف أصنع؟ قال: اغتلسى واستثرى بثوب وأحرمى.

وفى هذا دليل على اسـتحـباب الغسل للحائض والنُفـساء وهو قول الجمهور وفيه أيضاً صحةُ إحرام الحائض والنفساء وأن عليها أن تفعل كل ما يفعله الحاجُ غير أنها لا تطوف بالبيت.

وفى الصـحيح عن عـائشة رضـى الله عنها أنهـا حاضت قـبل أداء مناسك العمرة فأمرها النبى أن تحرم بالحج غير أن لا تطوف بالبيت حتى تطهر وأن تفعل ما يفعله الحاج.

أما إن جاء الحـيضُ بعد طواف الإفاضة والسـعى وقبل طواف الوداع سقط عنها طوافُ الوداع لأن الحائض والنفساء ليس عليها طوافُ الوداع.

يقول جابر: فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد.

ولذا استحب الجمهور أن يكون الإحرامُ بعده صلاة. إما فريضة وإما نافلة.

يقول جابر: فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركِبَ القَصْواء (وهو اسم لناقة الرسول) حتى إذا استوت به ناقتُه على البيداء نظرتُ إلى مدِّ بصرى بين يديه من راكبٍ وماشٍ وعن يمينه مثلَ ذلك وعن يسار مثلَ ذلك ومن خَلَفِه مثلَ ذلك. ورسول الله بين أَظهُرنا وعليه ينزلُ القرآن وهو يعرفُ تأويله وما عمل به من شيءٍ عملنا به فأهل النبى بالتوحيد: «**لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**».

وهذه التلبية أيها الأحبة كانت تحتاجُ منا إلى لقاء كاملٍ مستقل وقد علق عليها الإمام ابنُ القيم تعليقاً بديعاً واستخرج منها أكثر من عشرين فائدة فى تعليقه على سنن أبى داود لمن أراد أن يراجعها فى كتاب عون المعبود. ومن بين هذه الفوائد البديعة التى ذكرها أن التلبية هى شعارُ حج التوحيد الذى هو روحُ الحج ومقصدة بل هو روحُ العباداتِ كلِها وتتضمن هذه التلبية من الخضوعِ والذلِ والمحبةِ والقرب ما تتحقق به العبوديةُ لله عز وجل كما أنها متضمنة للرد على كل مُبطل فى صفات الله عز وجل وتوحيده فهى مبطلةٌ لقول المشركين ولقول الجهمية المعطلين ولقولِ مجوسِ الأمة المعاندين.. لأنها تثبت كلَ صفات الكمالِ والجلال لله رب العالمين.

ولذا ورد فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك قال ابن عباس: فيقول رسول الله ﷺ قدِ قدِ أى قد كفاكم هذا فاقتصروا عليه ولا تزيدوا لأنهم كانوا يقولون: بعدها إلا شريكاً هو لك تملكُهُ وما مَلك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت».

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن. أى مسحه بيده وهو سنة فى كل طواف وفى صحيح مسلم أن رسولَ الله ﷺ كان لا يستلمُ إلا الحجر والركن اليمانى وقد أجمعت الأمة على استحباب استلام الركنين وتقبيل الحجر الأسود إن أمكنَّ ذلك من غير إيذاء لأحدٍ من المسلمين والمسلمات.

وفى الحديث الذى رواه مسلم أن عمر بن الخطاب قَبَّل الحجر الأسود وقال والله إنى لأُقبلُك وإنى أعلمُ أنك حجر وأنك لا تضرُ ولا تنفع ولولا أنى رأيتُ رسولُ الله ﷺ يقبلك ما قبلتُك».

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فَرَمَلَ ثلاثاً ومشى أربعاً.

والرمل هو إسراعُ المشى مع تقارب الخطا وهو مستحب فى الأشواط الثلاثة الأُول.

وفى صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال قدم رسولُ الله وأصحابُه مكة وقد وهنتهم حُمى يثرب فقال المشركون: إنه قدمُ عليكم غداً قومٌ قد وهنتهم الحمى ولَقُوا منها شدة فجلسوا مما يلى الحِجْرَ وأمرهم النبى أن يرمُلُوا ثلاثة أشواط وأن يمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جَلَدَهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا قال ابن عباس ولم يمنعْهُ أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كُلها إلا الإبقاءُ عليهم».

يقول جابر: ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين

[قرأ فيها قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد] ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ:

﴿إن الصفا والمروة من شعائر اللَّه فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن اللَّه شاكر عليم﴾ ثم قال النبى: أبدأ بما بدأ به الله عز وجل فبدأ بالصفا فَرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة [وفى رواية أبى هريرة فى صحيح مسلم (ورفع يديه) فوحد الله وكبره وقال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا اللهُ وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك قال مثلَ هذا ثلاث مرات.

ثم نزل إلى المروة حتى إذا أتى المروة ففعل عليها كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخرُ طوافِه على المروة فقال: «**لو أنى استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ لم أسُقِ الهدى وجعلتها عُمرةً. فمَنْ كان منكم ليس مَعَه هدىٌ فَلْيَحِلَّ وليجْعلْهَا عُمرة**» فقام سُراقةُ بنُ مالك فقال يا رسول الله ألعامِنا هذا أم لأبدٍ فشبك رسولُ الله بين أصابعه وقال: «**دخلت العمرةُ فى الحج لأبد الأبد**».

قال جابر: فحل الناسُ كلُهم وقصَّروا إلا النبى ﷺ ومن كان معه هدىٌ.

فلما كان يومُ التروية (ويومُ التروية هو اليوم الثامن من ذى الحجة).

توجهوا إلى مِنى فأهلوا بالحج وركب رسولُ الله فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمسُ وأمر بخيمة تُضرب له بِنَمره فسارَ رسول الله ﷺ ولا تشكُ قريشٌ إلا أنه واقف عند المشعرِ الحرام كما كانت قريشٌ تصنعُ فى الجاهلية فأجاز رسولُ الله

حتى أتى عرفه فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فَرُحِلَتْ له فأتى بطنَ الوادى فخطب الناس وقال: **إن دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم كحرمة يومِكُم هذا فى شهرِكم هذا فى بلدكم هذا. ألا كلُ شىءٍ من أمرِ الجاهلية موضوعٌ، ودماءُ الجاهلية موضوعة وإن أولَ دمٍ أضعُ من دمائِنا دمُ ابنِ ربيعة بنِ الحارث، وربا الجاهلية موضوعٌ وأولُ رباً أضعُ ربا العباس بنِ عبد المطلب، فإنه موضوع كله.**

ثم قال ﷺ: **اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتُم فروجَهُن بكلمة الله**. . . ثم قال ﷺ: **وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله عز وجل.**

ثم قال ﷺ: **وأنتم ستسألون عنى فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت فقال بإصبعه السَّبابةِ يرفعها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس **اللهم اشهد. اللهم اشهد** ثلاث مراتٍ. ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب رسولُ الله حتى أتى الموقف [بالقرب من الصخرات] واستقبل القبلة [يدعو الله عز وجل] فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غابَ القرصُ فأردف أسامة بنَ زيد خلفه. ودفع رسولُ الله وقد شَنَقَ للقصواء الزمام [حتى لا تسرع] والرسول يشير للناس بيده اليمنى. ويقول: **أيها الناسُ السكينةَ السكينةَ**. . . حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ واحدٍ وإقامتين ولم يُسبِّح بينهما شيئاً [أى لم يصل بينهما نافلة] ثم اضطجع رسولُ الله حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبحُ بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعَر الحرام فاستقبل القبلة فدعاهُ

وكبـره وهلله ووحدَّه فلم يزل واقفـاً حتى أسَفَر جداً فـدفع قبل أن تطلُعَ الشمس. . . حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبعٍ حصيات يُكَبِّرُ مع كل حصاه منها ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده [وفى مسند أحمد وصحيح مسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ أتى منى فرمى الجمـرة ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحـلاق خذ وأشار إلى جـانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يُعطيه للناس».

قـال جابر: ثم ركِبَ رسـولُ الله إلى مكة فـأفاض إلى البـيت [أى طاف طواف الإفـاضة وهو ركن من أركـان الحج بإجمـاع المسلمين] ثم صلى النبى بمكة الظهـر وأتى بنى عـبدِ المطلب وهم يسـقون على زمـزم فقال: «**انزِعُوا بنى عبدِ المطلب فلولا أن يَغلِبَكُم الناسُ على سقايتكم لنزعتُ معكم**» فناولوه دَلْواً فشربَ منه.

تقول عائشة كما فى مسند أحمد وسنن أبى داود ثم رجع رسولُ الله إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرة بسبـعِ حصيات يكبر مع كل حصـاة ويقف عند الأولى وعند الثانية فيطيلُ القيام ويتضرع ويرمى الثالثة ولا يقف عندها.

وبعد انتهـاء أيام التشريق عاد النبى ﷺ مـرة أخرى إلى مكة ليطوف طواف الوداع كما فى صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال: كان الناس ينصرفون فى كل وجه فقال رسول الله لا ينفر أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت.

وهذا بإيجاز هو حج المصطفى ﷺ الذى قال: **خذوا عنى مناسككم**. وهذه هى الحجة الوحيدة التى حجها النبى ﷺ.

وصلى الله وسلم على محمد ﷺ.

* * *



الخطبة السابعة :

بأى عيد نفرح ..؟!
خطبة عيد الأضحى(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) خطبة عيد الأضحى لعام ١٤١٤ هـ بإستاد المنصورة الرياضى.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد :

الله أكبر .. الله أكبر ، لا إله إلا الله .. الله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .

أحبتى فى الله:

أعلم أن اليوم عيد ومن حقنا أن نفرح. . ولقلوبنا أن تسعد

ولكن بأى عيد تفرح وبأى قلب نسعد؟!

والله أن العين لتدمع وإن القلب ليحـزن لما آل إليه أمر المسلمين. فإن المتأمل لأحوال الأمة سيبكى دماً بدل الدمع!!

ففى كل بلد على الإسلام دائرةٌ ينهدُّ من هولها رضوى وثهلانُ
ذبحٌ وصلبٌ وتقـتـيلٌ بأخـوتنا كما أُعدت لتُشْفِىَ الحـقدَ نيرانُ
يستصرخون ذوى الإيمانَ عاطفةً فلم يغـثْهـم بيـوم الروْع أعَوانُ
فـهل هذه غـيْرةٌ أم هذه ضَعَـةٌ للكفـرِ ذكـرٌ وللاسلامِ نـسيـانُ

* فـبأى عـيد تفـرح أيها المسـلم، وبأى قلب تسعـد؟! وولدك فى البوسنة قد شوى على النار، أمام والده ولَمَّا تمَّ شيُّه قطعوه قطعاً وأجبروا أباه تحت التهـديد والوعيد على أن يأكل من لحم طفله فلذة كـبده وثمرةِ فؤاده، ثم بعد ذلك أطلقوا عليه النيران فَقتلوه!!.

* فبأى عيد تفرح أيها المسلم وبأى قلب تسعد؟!

وأخوك قد هدم بيته، وشـرد أهله، وسلبت أرضه، وسفكت دماؤه، ومزقت أشلاؤه.

* فبأى عيد تفرح أيها المسلم وبأى قلب تسعد؟!

وأختك فى البوسنة قد انتهك عرضها. .، وضاع شرفها. . .، وها هى أخيراً تصرخ قائلة: أن اقتلونى. . .، واقتلوا العار الذى أحمله بين أحشائى.

هذا هو رجاؤها الأخير بعد ما صرخت طويلاً. . ، طويلاً. . !!
وا إسلاماه. . وا إسلاماه. . وامعتصماه.
ولكن. . .
* ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح.
ذبحوا الصبيَّ وأُمَّه وفتاتها ذاتَ الوشاح.
وعدوا على الأعراض فى انتشاء وانشراح.
يا ألف مليونٍ وأين هموا إذا دعت الجراح.
ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح.

مع أنه ﷺ يقول كما فى الصحيحين من حديث النعمان بن البشير: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسدِ بالسهر والحمى»**[١].

فبأى عيد تفرح أيها المسلم وبأى قلب تسعد؟!

وبرك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكى المأساة فلا زالت أحداث المسرحية الهزلية المحرقة تمارسُ على خشبة المسرح العالمى. . ، فى البوسنة. . ، فى الصومال. . ، فى كشمير. . ، فى أوغندا. . ، فى الفلبين. . ، فى بورما. . ، فى تركستان. . ، فى طاجكستان. . ، فى كمبوديا. . ، فى سيريلانكا. . ، فى فلسطين. . ، فى أفغانستان. . ، فى الجزائر. . ، وأخيراً فى اليمن.

ولا زال المشاهدون من جميع أنحاء العالم قابعين فى مقاعدهم، منهم

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٥٨٤٩]، رواه البخارى (١٠/٣٦٦) فى الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) فى البر والصلة.

من يبارك هذه التصفية الجسدية، والتفرقة العنصرية، ومنهم من جلس يبكى ويمسح عينه بمنديل حريرى، ولكنه ما زال قابعاً فى مقعده، ليشهد آخر فصول المسرحية !!

مُتْمْ قروناً والمُحَاق الأعمى يليه مُحاق.

أىُّ شئ فى عالم الغاب نحن أدميون أم نعاج نساق.

يا قطيعاً من ألف مليون رأسٍ صار نهباً يجرى عليه السباق.

نحن لحم للوحش والطير منا الجثث الحمر والدَّم الدفاق.

وعلى المحصنات تبكى البواكى يا لعرض الإسلام كيف يراق.

قد هوينا لما هوت وأعدوا، وأعدوا من الردى ترياق.

واقتلعنا الإيمان فاسودت الدينا علينا واسودت الأعماق.

وإذا الجزر مات فى باطن الأرض تموت الأغصان والأوراق.

ما الذى حدث؟ وما الذى جرى لأمة. دستورها هو القرآن..، ونبيُها هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام.

مالذى غيرها ومالذى بدَّلها؟

ذلت بعد عزة..!!

وضعفت بعد قوة..!!

وجَهلت بعد علم.. !!

* وأصبحت فى ذيل القافلة الإنسانية بعد أن كانت تقود الإنسانية بجدارة واقتدار.

* وأصبحت تتسولُ على موائد الفكر الإنسانى، بعد أن كانت منارة

تهدى الحيارى، والتائهين، الذين أحرقهم لفحُ الهاجرةِ القاتل وأرهقهم طول المشى فى التيه والظلام.

* وأصبحت الأمةُ تتأرجح فى سيرها بل ولا تعرفُ طريقها الذى يجبُ عليها أن تسلكه بعد أن كانت الدليلَ الحاذق فى الدروب المتشابكة فى الصحراء المهلكة التى لا يهتدى للسير فيها إلاَّ الأدلاَّءُ المجربون.

أهذه هى الأمة التى وصفها الله بالخيرية فى قوله سبحانه:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمة أُخرِجَت للنَّاسِ تَأمُرونَ بالمعرُوفِ وتَنهَونَ عن المُنكَرِ وتُؤمنُونَ باللَّه﴾[1].

أهذه هى الأمة التى وصفها الله بالوسطية..!؟ فقال سبحانه:

﴿وكَذَلكَ جَعلنَاكُم أُمة وَسَطًا لتكونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ ويكون الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهيداً﴾[2].

أهذه هى الأمة التى وصفها الله بالوحدة..!؟ فى قوله جل وعلا:

﴿إنَّ هَذه أُمتُكُم أُمَّةً وَاحدةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعبُدُونِ﴾[3].

والجواب بحق وصدق:

إن البون شاسع..، وإن الفرق كبير بين الأمة التى زكاها الله فى قرآنه كلَّ هذه التزكية، وبينَ الأمةِ التى نراها الآن فى واقعنا المعاصر.

فإننا نرى أُمةً عُطِّلت طاقاتها العقليةُ..، والعمليةُ..، والعدديةُ..، والاقتصادية..، بل والروحية..، وأخلدت إلى الوحل، والطين..، وتركت ذروة سنام الإسلام..، ورضيت بالزرع..، وتبعت أذناب البقر.

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة التوبة: ١٤٣.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٢.

فطمع فيها الضعيف قبل القوى، والفقير قبل الغنى. .، والذليل قبل العزيز. .، والقاصى قبل الدانى. .، وسلط الله عليها ذلاً مريراً أذلها لمن كتب الله عليهم الذُّل والذِّله، من إخوان القردة والخنازير، من أبناء يهود.

وصدق فيها قول نبيها ﷺ كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود من حديث ثوبان: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل انتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت**»[1].

والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة. .

وما الذى أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية من ضعف وذل؟

ما الذى أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية من جهل وفرقة وهوان؟

والجواب فى قول الله جل وعلا:

﴿**إن اللَّه لا يغير مَا بِقَومٍ حَتَى يُغَيرُوا مَا بأنفُسِهِم**﴾ هذه سنة ربانية ثابتة لا تتغير، ينبغى أن تكون راسخةً فى القلوب والعقول.

ولقد غيرت الأمة وبدَّلت. .، وابتعدت كثيراً. . كثيراً عن منهج الله جل وعلا.

فى جانب العقيدة. .، وفى جانب العبادة. .، وفى جانب التشريع. .، وفى جانب الاتباع. .، وفى جانب الأخلاق. .، والمعاملات والسلوك.

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٨١٨٣]، أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) فى الملاحم، ورواه أحمد (٥/٢٧٨) انظر الصحيحة رقم (٩٥٨).

والسؤال الذى بدأت تتعالى به أصوات المخلصين الصادقين من أبناء الطائفة المنصورة.

ما هو الحل وأين طريق الخلاص؟

والآن ..!!

مع كل هذه الضربات وفى وسط تلك المؤامرات وبالرغم من وجود هذه التحديات.. بفضل رب الأرض والسموات.

بدأت الأمة تصحو من جديد..، وتعالت أصوات المخلصين الصادقين من أبناء الطائفة المنصورة التى لا يخلو منها زمان بموعود الصادق المصدوق ﷺ كما فى صحيح مسلم من حديث معاوية: «**لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**»[1].

تعالت أصوات أبناء هذه الطائفة الكريمة ومن تبعهم من شباب فى ريعان الصبا، وفتيات فى عمر الورود تتساءل بمرارة:

فما الحل وأين طريق الخلاص؟

وهذه نقطة البداية الصحيحة

وكان الجواب حاضراً بحمد الله على ألسنة الكثيرين منهم ألا وهو:

لا طريق لهذه الأمة للخروج مما هى فيه، من الذل، والضعف، والهوان، والاستسلام، إلا أن تعود بكليتها إلى الإسلام بكماله، وشموله، وفروعه، وأصوله.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٧٢٩٠]، رواه البخارى (١٣/ ٣٥٠) فى الاعتصام، ومسلم رقم (١٠٣٧) فى الزكاة، ورقم (١٩٢٥) فى الإمارة، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) فى الفتن، والترمذى رقم (٢١٧٧، ٢٢٣٠) فى الفتن.

إلى مصـدر عزها. . ، ونبع شرفهـا. . ، ومعين كرامتـها. . ، وأصل قيادتها. . ، وسيادتها وبقائها.

وأن تعى الأمة إلى درجـة اليقين هذه الحقيـقة الكبيرة، التى يعـرفها أعداؤها إلى درجة اليقين.

ولكن المشكلة الحقيقة التى تواجه المخلصين الصادقين الآن هى :

كيف نُعيد بناءَ الأمة من هذا الفتات المتناثر؟!

وذلك أمر يحتاج إلى جهد كبير. . ، وصبر جميل. . ، وتجرد لا ينقطع فى أى مرحلة من مراحل البناء.

والحق أن ما هدم فى سنوات لا يمكن مطلقاً أن يُبنى فى أيام!!

ولنعلم يقينا أنه لا يمكن أن نربِّى الأمـة من جديد على المنهج الربانى دفعة واحدة.

وأنه لا يمكن أيضا أن نربى كل فرد من أفراد الأمة على حده!!

وأعظم مُرَّبٍ عرفته الدينا. . ، وأعظمُ قائد شهدته الأرض محمد ﷺ، الذى بنى أمة من فـتات متناثر، وأقام دولة أذلت الأكـاسرة. . ، وأهانت القياصرة. . ، وغيرت مجرى التاريخ فى فترة لا تساوى فى حساب الزمن شيئاً.

هذا المربى العظيم والنبىُ الكريم ﷺ لم يربِّى أمته دفعة واحدة، ولـم يربى كلّ فرد من أفراد الأمة، بل لقد كان فى أمته ضِعَافُ الإيمان، وأهلُ المعاصى، والذنوب، والمعوقون والمثبطون، والمرجفون، والمنافقون.

إذن ما الذى صنعه رسول لله ﷺ ؟!

ربَّى القاعدة القوية المخلصة الصادقة، ثم انطلقت هذه القاعدة لتربى

بقية الأمة بالقدوة الصالحة الطيبة، حينما انطلقت لتحول المنهج النظرى إلى منهج حياةٍ متحركٍ فى دنيا الناس.

ونحتاج اليوم لذات المنهج الذى أزال الغربة الأولى للإسلام، لنزيل به الغربة الثانية مقتدين فى ذلك بأعظم الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ ومن اقتفى أثره، واتبع هداه، من الصحابة المهديين، ومن يتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأستطيع فى عجالة سريعة أن أضع بين أيدى حضراتكم بعض بنود هذا المنهج للعوده بالأمة إلى مكانتها.

وكلكم مسئول أمام الله عز وجل عن تحويل هذا المنهج إلى واقع عملى.

لأن القول إذا خالف العمل بذر بذور النفاق فى القلوب كما قال علامُ الغيوبِ جل وعلا:

﴿ **يا أيها الذينَ آمنُوا لِمَ تَقُولُون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللَّه أن تَقُولُوا مَا لا تَفعَلُون**﴾[١].

أولا - نبذ الفرقة وتوحيد الصف:

فإن الفرقة والنزاع سببٌ لذَهاب الريح وتبديد القوة قال تعالى:

﴿ **ولا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وتَذهَب رِيحُكُم**﴾[٢].

وقال سبحانه ﴿ **ولا تَكُونُوا كَالذينَ تَفرَّقُوا واختَلَفُوا من بَعدِ مَا جَاءَهُم البينَاتُ وأُولَئكَ لهم عَذابٌ عَظيم**﴾[٣].

(١) سورة الصف: ٢، ٣.
(٢) سورة الأنفال: ٤٦.
(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

ونحن إذ ننادى بنبذ الفرقة وتوحيد الصف، فإنا لانريدها وحدة على غير أصول ولا نريدها وحدةً تجمع شتاتاً متناقضاً على غير حق وهدى.. كلا..!!

إنما نريدها وحدة صادقة تقوم على أصولٍ ثابتة محددة هى :

الأصل الأول: الانتماءُ للاسلام دون سواه:

فلننبذ كل العصبيات، والنعرات، والقوميات، وليكن ولاؤنا للإسلام دون سواه. ولنردد مع سلمان الفارسى رضى الله عنه قوله الجميل:

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

الأصل الثانى: توحيد مصدر الهداية والتشريع:

ومصدر الهداية والتشريع هو الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وحينئذ فقط توحد العقيدة وتُصفى وتُوحدُ الشريعة وتُنقى.

ثانيا - إعداد الكوادر الاسلامية المتخصصة فى كل مجالات الحياة التى تنطلق من فهم دقيق ووعى عميق بالإسلام الشامل الكامل لتحول هذا الإسلام إلى منهج حياة..، وواقع متحرك..، ولتسير شئون الحياة فى كل نواحيها من منظور الإسلام.

وهذا أمر عملى خطير، ولا يمكن على الإطلاق أن يتم إلا على أيدى هذه الكوادرِ المسلمة الداعية التى تشهد للإسلام شهادة عملية بعد أن شهدت له من قبل شهادة قولية.

ثالثا - السعى الجاد لبناء الأخلاق الإسلامية:

وقد يقال إننا فى حاجة إلى علم وتقدم مادى، وسلاح، ونحن نقر هذا، ولكننا لعلى يقين جازم أن هذا كله بدون بناء أخلاقى لا قيمة له. . ، بل قد يعود علينا بالهلاك، والضرر، والدمار.

فهذا مهندس مؤتمن على مشاريع الأمة لا يتقى الله، ولا يعرف إلا الغش، ولا يفكر إلا فى المال، فماذا تكون النتيجة.

انهيار رهيب لمئات البيوت، ومِنْ ثَمَّ قتل وتشريد. وهكذا فلننظر إلى جميع من ولاَّهم الله المسئولية فى هذه الأمة وقد تحرروا من الأخلاق وتجردوا من الفضيلة، إلا من رحم الله جل وعلا وماذا تكون النتيجة؟!!

إذن لابد أن تُقيد كلُ هذه المقومات بأخلاق الإسلام.

رابعا - كن إيجابيا ولا تكن سلبيا فأنت على ثغر من ثغور الإسلام لأننا نرى سلبية قاتلة لا مبرر لها، من منطلق فهم مغلوط لقول الله جل وعلا:

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسَكُم لا يضركم من ضَلَّ إذا اهتَدَيتُم﴾[1].

وقديماً خشى صدِّيقُ الأمة الأكبر رضى الله عنه هذه السلبية الناتجة عن هذا الفهم المغلوط فقام فى الناس خطيباً ليوضح لهم المعنى الصحيح لهذه الآية الكريمة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله يقول:

«إن الناس إذا رأو المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقاب من عنده»[2].

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) صحيح: [الصحيحة: ١٦٧١، المشكاة: ٥١٤٢ ، الطحاوية: ٧٧٧] رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

فإذا قمت بأداء واجبك فأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ودعوت إلى الله بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، لم يضرك بعد ذلك ضلال الضلال.

فهيا تحرك أيها المسلم لهذا الدين، واحمل همَّه فى قلبك..، لا تأكل ملأ بطنك ولا تنم ملء عينيك..، ولا تضحك ملء فمك..، وكأن الأمرَ لا يعنيك!!!

فهيا تحرك فلقد جاء دورك أيها العملاق الحنون، هيَّا قُمْ ودثِّر العالَم كلَّه ببرْدَتك ذات العبقِ المحمدى.

هيا ضمَّ العالمَ إلى صدرِك..، وأسمعه خفقات قلبك الذى وحدَّ الله.

هيا قم واسق الدنيا كأس الفطرة..، لتحيا بعد موات..، ولتروى بعَد ظمأ..، ولتُهدى بعد ضلال.

هيا قم أيها الموحد.. لتؤدى دورك الذى من أجله خلقك الله جل وعلا، لتجمع العالم بعد شتات.. ولتمزق غشاوة الكفر، والكيد الشيطانى بشعاع النورِ القرآنى والنبوى.

هيا فلقد جاء دورك أيها الموحدلله جل وعلا.

ومَن أروع ما قاله المفكر الشهير شبنجلز فى كتابه «سقوط الحضارة» يقول:

« إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق فى أروع صورة هى حضارة الإسلام، الذى يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية».

بل إنه دين الأمن، والأمان، والرخاء، والاستقرار، واسألوا اليهود والنصارى الذين عاشوا فى كنفه، وتحت ظلاله الوارفة.

وأخيراً أيها الأحباب فبقلبٍ ملؤه اليقين وَبِلُغَةٍ يحدوها الأمل أقول:

إن المستقبل لهذا الدين رغم كيد الكافرين.

وها هى كتائب الصَّحْوة الإسلامية تتوالى تترى فى كل بقاع الدنيا رغم كل هذه الضربات المتلاحقة لتثبت للأعداء المتربصين: أن شجرة الدعوة تنمو بين الصخور..، وأن ماء الدعوة يسرى بين الحجارة!!

ونحن لا نقول ذلك رجماً بالغيب..، ولا من باب الأحلام الوردية لتسكين الآلام وتضميد الجراح.. كلا.

ولكنه القرآن الكريم يتحدث..، والصادق الأمين يبشر..، والتاريخ، والواقع يشهدان..

يقول الله جل وعلا: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[١].

ويقول سبحانه: ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم لِيَصُدُّوا عن سبيل اللَّه فسينفقُونَهَا ثم تكُونُ عليهم حَسرةً ثم يُغلبون**﴾[٢].

ويقول عز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّه الذين آمَنُوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفَنَّهم فى الأرض كما استَخلَفَ الذين من قَبلِهم وليمكِّنَن لهم دينهُمُ الذى ارتَضَى لهم وليُبَدِّلَنَّهُم من بَعدِ خَوفِهِم أمناً يعبُدُونَنى لاَ يُشرِكُونَ بى شيئاً**﴾[٣].

(١) سورة الصف: ٨.
(٢) سورة الأنفال: ٣٦.
(٣) سورة النور: ٥٥.

وفى الحديث الذى رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط وهو حديث حسن من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال ﷺ: **«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها».**

ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون ملكاً جبرياً.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»[1].

فإن الإسلام قادم لأنه الدين الذى ارتضاه الله للبشرية كلها وإن تأخر النصر فوعد الله لا يخلف.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين.

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضواناً... الدعاء.

* * *

(١) **صحيح**: [الصحيحة: ٥]، رواه أحمد (٤/ ٢٧٣).

الخطبة الثامنة :

الأزمة السكانية .. والحلول الغائبة(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الجمعية الشرعية بالمنصورة.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد: فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدى هدىُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةُ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أما بعد

أحبتى فى الله.. عنوان لقاءنا فى هذا اليوم المبارك إن شاء الله جل وعلا الأزمة السكانية والحلول الغائبة وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث فى العناصر التالية:

أولاً - صراع بين الحق والباطل.

ثانياً - أزمة مفتعلة وحقدٌ دفين.

ثالثاً - الحلول المقترحة.

* تحديد النسل.

* تأخير سن الزواج.

* الإجهاض.

وأخيراً.. الحلول الغائبة.

أولاً - الصراع بين الحق والباطل

إنها قصة طويلة بطول هذا الصراع. فإن الصراع بين الحق والباطل.. بين الإيمان والكفر.. بين الفضيلة والرذيلة.. بين الخير والشر. صراعٌ دائمٌ لا تهدأ معاركة. ولا تخبو جذوته.

وقد ينزوى الحقُ فى فترة من الفترات كأنه مغلوب.. وقد ينتفخُ الباطلُ وينتفش كأنه غالب.

ولكن المؤمنين الصادقين لا يخالجهم الشك أبداً فى هذه الحقيقة الكبيرة. والسنة الأزلية الباقية التى قام عليها بناءُ السماءِ والأرض. وقامت عليها العقائد والدعوات.

ألا وهى: أنه مهما بلغت قوة الباطل وصولتُه ومهما كانت دولتُه وكثرتُه. فإن الحق خالدٌ ظاهرٌ. وإن الباطل زاهق زائل.

يقول الحق سبحانه: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيَدمَغُهُ فإذا هو زاهق**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾[2].

إنها حقيقة كبيرة يقررها الحق جل وعلا بذاته بصيغة التوكيد.

وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صَوْلةً ودَوْلَة.

فقد ينتفخُ الباطلُ وينتفش.. ولكنه هش ضعيف. كشعلة الهشيم ترتفعُ نارُها ثم تخبو سريعاً وتصير إلى رماد.. أو كالزبد يطغى على الماء ولكنه سرعان ما يذهب جُفاء ويبقى الماء.

إن الباطل كان زهوقاً.. وعد الله وإن طال زمن الباطل.

وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان إلا وذاق معه حلاوة هذا الوعد ومن أصدق من الله حديثاً؟

أحببتُ أن أقدم لموضوعِنا اليومَ بهذه المقدمة الموجزة.. لأننا نشهدُ الآن مرحلةً من أخطرِ مراحل الصراع التى انتفخ فيها الباطلُ وانتفش

---

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

يتولى كبرها الغربُ الحاقد الذى تقدم ليقود البشرية كلها على حين غفلة من أمة القيادة والريادة وصاحبة الحق الذى من أجله خُلقت السماءُ والأرض والجنةُ والنار ومن أجل هذا الحق أنزلت الكتب وأرسلت الرسل.

ومكمنُ الخطرِ فى هذه المرحلة أن الغربَ يريدُ بطريقة أو بأخرى أن يُلزمَ المجتمعات المسلمة بما وصل إليه من تفسخ عقدى وتحلل أخلاقى وفساد اجتماعى.

حتى لا يفيق العالمُ الإسلامى من غفلته ويبقى قصعة مستباحة لهؤلاء المجرمين!!

وأخيراً افتعلوا هذه الأزمة التى بينت لكل غافل حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين.

وهذا هو العنصرُ الثانى من عناصر هذا اللقاء.

ثانياً - أزمة مفتعلة وحقد دفين:

فلقد أثاروا ضجة إعلامية رهيبة عما يسمونه بالأزمة السكانية أو الانفجار السكانى إذ تشير وثيقة المؤتمر الدولى للسكان والتنمية أنه بحلول عام ٢٠٥٠ يظهرُ الإسقاطُ المنخفض للأمم المتحدة تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ ٧٫٨ بليون نسمة.. ويظهر الإسقاطُ العالى تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ ١٢٫٥ بليون نسمة. [ثم يتألون على الله عز وجل].

ويقولون: وهذه كارثةٌ بكل المقاييس تدمر أىَّ خُطةٍ للتنمية الاقتصادية إذ من المستحيل أن تفى المواردُ بكل احتياجات هذه الأفواه الجائعة!!!

ونسى الإنسان المتبجحُ المغـرور أنه لن يستطيع أىٌّ مؤتمر للسكان على ظهر الأرض أن يحدد السكان إلا بقدر ما يريد رازقهم جل وعلا وسيأتى القادمون الجُدد إلى هذه الحياة بأمر خالقهم لا بأمر الهندسة الوراثية.

وهؤلاء الذين يقننون ويتعاركون فيمن يأتى غداً إلى الحياة ومن لا يأتى ومن يُخلق ومن لا يخلق هؤلاء أنفسهم لا يملكون أن يكونوا بين الأحياء أو لا يكونوا فالكل راحلٌ رغم أنفه وإن طالت به الحياة!!!

* ولابد أن نعلم يقيناً أن الغرب ما تحـرك اليوم بهذه القوة لحل هذه الأزمة على مسـتوى البلدان النامية أى الإسلامـية بصفة خاصـة ما تحرك لحلها حرصاً عليها وحباً لها واشفاقاً على شعوبها كلا .. كلا.

فإن الغرب لا يزعجه مطلقاً أن تعيش هذه الأفواه أو أن تموت.. بل هو الذى يبـيدها بوحـشية وبربريـة وقحة بأسـلحة الدمار الـذى أعدها وبحرمانها من فائض كبـير فى موارده يلقى به فى البحر فى الوقت الذى يموت فيـه الآلاف من أبناء هذه الدول التى يتـغنى اليوم بأنه مـا جاء إلا لتنميتها!!! وإسـعادها.. إنه الكذب الذى لم يعد ينطلى إلا على السذج فلابد أن نعلم أيها المسـلمون أن الغرب ما تحرك اليـوم بهذه القوة لوقف نسل المسلمين إلا خـوفاً من اخـتلال مـيزان القـوى فى العالم لصـالح المسلمين.. ولا نقول هذا تضمـيداً للجراح أو تسكيناً للآلام أو من باب الأحلام الوردية أبداً.

(علماء السياسة والإجتماع)

* فمنذُ سنوات وعلماء السياسة والاجتماع فى أوربا وأمريكا يحذرون بشدة من المصير الذى ينتظر نفوذ أوربا وأمريكا إذا ما استمرت معدلات النمو السكانى فى الكرة الأرضية كما هى عليه دون ضبط أو تعديل، إذ أن شعوب العالم النامى ستصبح هى الكتلة البشرية الأكبر والأعظمُ فى الكرة الأرضية فبحسب تقديرات خبراء السكان بالأمم المتحدة أنه مع نهاية القرن الحادى والعشرين سيكون فى مقابل كل فرد أوربى أو أمريكى ثمانية عشر فرداً من أبناء العالم الثالث على حد تعبيرهم وإذا استمر الوضع على ما هو عليه فالمستقبل ينذر بكارثة كبيرة على حد تعليق أحد مسئولى مركز الأبحاث السكانية الدولية فى باريس.

(باول شمتز)

* وقد عبر عن هذا الرعب والفزع المفكر الألمانى (باول شمتز) إذ يقول: «يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيراً كبيراً هما:

الزيادة المطردة فى عدد سكانه.

والمواد الخام.

وهما مصدرُ القوة النامية فى العالم الإسلامى ثم يقول:

وتشير ظاهرةُ النمو السكانى فى أقطار الشرق الإسلامى إلى احتمال وقوع هزة فى ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية وهذه الزيادة فى الإنتاج البشرى سوف تمكن الشرق على نقل السلطة فى مدة لا تتجاوز بضعة عقود».

(المفوض السابق لشئون اللاجئين)

* ويؤكد هذه الحقائق أيضاً بشكل جلى المفوض السابق لشئون اللاجئين بالأمم المتحدة إذ يقول بمنتهى الصراحة:

«إن هذه الزيادة المطردة فى سكان العالم الثالث والدول الأفريقية خاصة تهدد أمن الدول الأوربية بشكل مباشر.

(وزارة الدفاع الأمريكية)

* ولقد أجرت وزارة الدفاع الأمريكية سلسلة من الدراسات عن طريق مركزها للدراسات الاستراتيچية.

ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة:

أن النمو السكانى فى العالم الثالث يهدد بصورة مرعبة المصالح الاستراتيچية الأمريكية.

وأن جهود ضبط النسل ووقف النمو السكانى فى العالم الثالث ينبغى أن يلقى اهتماماً يعادل ما توجهه الولايات المتحدة لإنتاج الأسلحة الجديدة.

* واحفظوا هذا الرقم الخطير الذى يقول:

بأن التقديرات النهائية لنفقات البرنامج العالمى لخفض السكان يبلغ ١٧ مليار دولار.

والحصة المطلوبة من الدول النامية من مجموع هذه النفقات تقدر بحوالى ١١ مليون دولار تؤخذ من هذه الدول الفقيرة التى يتغنون بأنهم يريدون بها تنمية اقتصادية تكفل الاستقرار لأفرادها.

هذه المليارات تنفق كلها على الحد من النسل ولا ينفق منها دولاراً

واحداً على التنمية التى ضحكوا بها علينا فى عنوان المؤتمر الدولى للسكان والتنمية.

والأعجب من هذا هو:

كيف تتم جباية هذا المبلغ الرهيب من هذه الدول الفقيرة المعدمة؟

والجواب من رئيس البنك الدولى: بأن تخصم كل دولة من هذه الدول تلك المبالغ الرهيبة من ميزانيات التسليح لديها وهذا قرار ملزم من الأمم المتحدة.

* هذه الخلفية الخطيرة وحدها هى التى تفسر الضغوط القوية التى تمارسها الآن أمريكا والدول الغربية مستخدمة فى ذلك الأمم المتحدة لمحاولة وقف نمو العالم الإسلامى بكل وسيلة.. ليس قلقاً على عافيته كما زعموا.. وليس سعياً فى تنميته كما كذبوا..

بل حماية لنفوذهم واستعلائهم وهيمنتهم وتدعيماً لسياسة العصا الغليظة التى يرفعونها!!! بدليل أنهم صَدَّروا هذه الدعاوى لدول إسلامية تعانى أصلاً من قلة النسل كسوريا وليبيا والسودان والعراق والأردن ولبنان وغيرها.

ثالثاً - الحلول المقترحة

* وفى سبيل تخفيف هذه الغاية جاءت حلولهم المقترحة غالباً بصورة تضحكُ وتبكى فى آن واحد.

* فلقد خرج علينا [جراح كبير فى لندن] يفتى بأن حل المشكلة السكانية يتمثل فى تخليف فيروس بالهندسة الوراثية يؤدى إلى العقم عند الرجال والنساء فنعالج المشكلة من جذورها!!! ثم يقول وحتى نهتدى

إلى هذا الفيروس علينا ألا نسمح بالإنجاب إلا برخصة من وزارة الصحة وعلى من ينجب بدون رخصة أن يدفع غرامة كبيرة ويُحرم من التأمين الصحى والمعاش وإذا عاد يسجن ويُعامل معاملة الشخصيات الخطرة.

* ويخرج علينا عبقرى آخر من جامعة ست نفورد بأمريكا ويقترح هذا الاقتراح لحل المشكلة السكانية فيقول:

اقترح أن [يخلط القمح] والذى يصدر إلى البلاد النامية بعقاقير منع الحمل..!!، وكأنما أصبحت البلاد النامية فى نظر هذا الوقح وأمثاله مزرعة للدواجن أو حظيرةً لفئران التجارب!!!

الإجهاض

* وأخيراً.. كان من بين المقترحات التى اقترحها مؤتمر السكان للحدِّ من النمو السكانى فى دول العالم الإسلامى اقتراح الإجهاض، ومنهم من أيد، ومنهم من عارض، دون أدنى خجل أو وجل ولست الآن بصدد بيان الحكم الشرعى فى هذه المسألة الخطيرة فهى محسومة فى ديننا ولله الحمد.

واقترح المؤتمر أيضاً لحل هذه المشكلة اقتراحاً غريباً جداً يقول:

* بتأخير سن الزواج.

ولا يمكن للأهل أن يؤخروا سنُ الزواج إلا بتيسير البدائل الأخرى لممارسة الجنس، وليس هذا تعسفاً منا فى تفسير هذا الاقتراح بل لقد صرحت بذلك وبوضوح وثيقة المؤتمر فى صفحة رقم ٣٠ فى الفصل الخامس.

إذ تقول الوثيقة: «ينبغى (نعم هكذا ينبغى) أن تتخذ الحكومات إجراءات فعاله للقضاء على جميع أشكال الإكراه والتمييز فى السياسات والممارسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى.

وأشكالُ الاقتران الأخرى غيرُ الشرعية هى زواجُ الرجل بالرجل. . ، والمرأة بالمرأة. . ، وهى ممارسات لا تؤدى إلى إنجاب وتصل إلى الحد من النسل من أقصر طريق!! إلى آخر ما فى هذه الوثيقة من غثاء فهى فى مجموعها نغمٌ مصنوع بعناية فائقة لنسف الهوية الإسلامية بصفة عامة وقلبِ العالمِ الإسلامى «مصر» بصفة خاصة.

[وهكذا]

أنكر هؤلاء أو تناسوا عن عمد مفضوح أن المنجم الحقيقى للتنمية هو الكثافة السكانية. فلا توجد ثروة على الإطلاق أغلى من الإنسان الذى يملك وحده القدرة على العمل والإبداع والابتكار فالكثافة السكانية تدخل ضمن الموارد ولا تدخل فى حساب الفاقد.

إذا ما استغلت الحكومات هذا العنصر الفعال استغلالاً علمياً مدرباً ونبذت تلك الحكوماتُ هذه البيروقراطية والروتين القاتل الذى يبدد الطاقات ويقتل المذاهب وأفسحت المجال لهذه الطاقات للعمل الجاد والإبداع الفعال وحينئذ فقط تتحول هذه الكثافة السكانية إلى نعمة كبيرة لا إلى نقمة كما يدعون!!!

وأمام أعيينا الآن بعضُ النماذج التى تستحق الدراسة الطويلة.

ففى اليابان يتجاوز عددُ السكان مائةً وعشرين مليوناً فى مساحة أصغر

من مساحة مصر، ومع ذلك فهى المنافس الأول فى الأسواق العالمية للإقتصاد الأمريكى بل، وأصبحت أمريكا تلوح الآن بالتهديد الصريح لليابان إذا لم تفتح أسواقها أمام المنتجات الأمريكية.

وتعيش اليابان بلا فقر، ولا مجاعة، بل تملك الآن فائضاً يزيد على الفائض الأمريكى مع أن اليابان ليس فيها بترول ولا فحم ولا حتى خام الحديد ولكنها تملك أثمن كنز ألا وهو الإنسان.

ونفسُ الكلام يقال عن هونج كونج وعن سنغافورة وعن كوريا وغيرها من النمور الأسيوية التى بدأت فى الانطلاق.

فالمشكلة يا سادة ليست كثافة السكان ولا تتمثل فى قلة الموارد كما يزعمون كلا.

ففى مصر تشير الدراسات إلى أن ٩٨٫٨٪ من مجموع سكان مصر يحتشدون بصورة مثيرة فى شريط ضيق من مساحة مصر هو وادى النيل والدلتا مع أن تلك المساحة لا تجاوز ٤٪ من مساحة البلاد التى تبلغ حوالى مليون كيلو متر مربع.

أما الصحارى التى تغطى مساحة ٩٦٪ من المساحة الكلية لمصر فلا يسكنها سوى ٦٧١ ألف نسمة فقط لا غير.

وللأسف الشديد فإن هذا الخلل الرهيب فى التوزيع لا يلقى الإهتمام الذى يلقاه مشروعُ الحدِ من النسل أو مشروعُ تنظيم الأسرة.

وإن بلداً شاسعاً كالسودان يملك من الأراضى البكر والمواد الخام ما يكفى العالم كله بل تسقط الثمار على الأرض لا تجد من يأكلها. وفى غيره من البلدان الإسلامية.

فالموارد كثيرة ولله الحمد والسكان أقلُ من المعدل المطلوب لاستغلال تلك الموارد واستصلاح تلك الأراضى.

ولكنه الروتين القاتل.

والتكاسل المدمر.،

والظلم الجشع فى توزيع الثروات.

وتبديدُ الطاقات فيما لا ينفع على الإطلاق.

وأخيرا: الحلول الغائبة

أولاً: أيها الأحبة تمنينا أن نُسمع تلك الجمهرة الكبيرة من المؤتمرين من كل الملل أنهم قد تغافلوا عن حقيقة كبيرة اسمها الرزاق ذو القوة المتين.

وقد يتململون ويتغامزون من هذا الكلام الذى يحكم اليوم على أصحابه فى مثل هذه المؤتمرات بالتخلف العقلى ولكننا برؤوس عالية تناطح السحاب نعلنه بأعلى أصواتنا ونفخر به.

أن المتكفل بأرزاق هذه الأفواه هو الرزاق ذو القوة المتين. الذى أوجب على نفسه اختياراً منه سبحانه أن يرزق كل دابة على ظهر هذه الأرض.

فقال سبحانه: ﴿ومَا مِن دَابَّة فى الأرضِ إلاَّ عَلى اللَّه رزقُها﴾[1].

نعم فما من دابة من هذه الدواب التى لا يحيط بها حصر ولا يلم بها إحصاء إلا وعند الله علمها وعلى الله رزقها.

فما من جبل على ظهر هذه الأرض إلا ويعلم الله ما فى وعره..، ولا بحر على سطح هذه الأرض إلا ويدرى الله ما فى ثغره..،

---

(١) سورة هود: ٦.

ولا تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴿**وعنده مَفَاتِحُ الغيب**﴾[1].

ومن اللفتات القرآنية الدقيقة التى تستحق الدراسة والتأمل، تلك اللفتة فى قول الله عز وجل: ﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون ...**﴾.

مع أن أسباب الرزق الظاهرة فى الأرض حتى لا تتعلق القلوب بالأسباب لأنها وحدها لا تضر...، ولا تنفع...، ولا ترزق...، ولا تمنع...، إلا بأمر مسبب الأسباب جل وعلا.

ليس معنى هذا أن نضيع الأسباب وألا نأخذ بها كلا.

فإننا فى هذه الجزئية نطمئن العلمانيين من كل الملل أن ديننا يأمرنا أن نأخذ بالأسباب، وأن نتوكل على الله، وهذا ما نخالفهم فيه، فى أننا مع أخذنا بكل الأسباب، نعلم يقيناً أن الأمر ابتداء وانتهاء بأمر الله عز وجل.

وفى الحديث القدسى الجليل الذى رواه مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **قال الله تعالى: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادى كلكم ضالٌ إلا من هديتُه فاستهدونى أهدكُم، يا عبادى كلكُم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعمونى أُطعِمْكُم، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسونى أكسكُم، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً.**

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم

---

(١) ... : الأنعام: ٥٩.

وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى، فأعطيت كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدْخل البحر. يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[1].

وتدبر معى أيها المسلم هذا الحديث الكريم الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال واللفظ هذا للبخارى فى كتاب التوحيد: «**إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يُغِض ما فى يمينه..**»[2].

فإذا استقرت هذه الحقيقة فى قلب المسلم وقف على الأرض بأقدام ثابتة لا تزعجه معونة شرقية. .، ولا تهدده معونة غربية.

لأنه حينئذ سيعلم يقيناً أن عليه أن يضع البذرة وأن يتعهدها بالعناية والرعاية أما جميع عناصر الإنبات الأخرى فإنما هى هبة إلهية من عند الله جل وعلا.

الشمس والمطر والرطوبة والطقس فعلى الإنسان أن يعرف قدره وألا يتجاوز حجمه وألا يلوح بيده بعنجهية واستعلاء كأنه صاحبُ الأمر والنهى فالأمر كله لله.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) فى البر والصلة، والترمذى رقم (٢٤٩٧) فى صفة القيامة وباب رقم (٤٩)، وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، قد اشتمل على قواعد عظيمة فى أصول الدين، وهو من الأحاديث التى عليها مدار الإسلام، وقد شرحه العلماء وأفردوه بالتأليف.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٢٢٧٧] رواه البخارى ومسلم وأحمد، لا يغيضها: أى لا تنقص ولا يقل خيرها، وسحاء: أى دائمة العطاء.

ثانياً - الإيمانُ والتقوى:

قال الرزاق سبحانه: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**(١).

ثالثاً - الاستغفار:

وقد يضحك العمانيون بملىء أفواههم حينما يسمعون إلى رجل يقول أيها الناس إن مفتاح الأرزاق هو الاستغفار بل وربما ينشرون على صفحات الجرائد الأولى حكاية هذا الرجل البدائى المتخلف الذى يقترح حلاً للمشكلة السكانية هو الاستغفار.

ولكنها حقيقة مطلقة نصدقها بقدر ما يكذبها العلمانيون لأنها من عند الله خالق ورازق هذا الإنسان.

قال الله سبحانه حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾**(١).

رابعاً - العلم والعمل وفتح الأبواب للإبداع والابتكار:

ودِيننا يأمرنا بذلك أيضاً فى آيات كثيرة جداً وفى الأحاديث الصحيحة.

خامساً - الاستغلالُ الأمثل للموارد والعدالة فى توزيع وإزالة الحواجز الجغرافية والنفسية التى زرعها الاستعمار بين بلاد العالم الإسلامى كخطوة للتكامل الاقتصادى لا سيما ونحن نعيش الآن عصر التكتلات.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) سورة نوح: ١٠-١٢.

وبعد فيا أيها الأحبة:

هذا ما ندين الله به فى هذه المسألة الخطيرة التى دار حولها الجدل فى الأيام الماضية وكـان واجباً على أهل الحق أن يقولوا كلمتـهم وألا يكتموا الحق الذى علمهم الله عز وجل إياه.

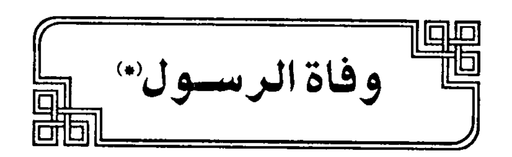
أما ما قـدمه المؤتمرون من الإجهاض والعـازل الذكرى والجنس الحر فهو من جهالات هذا العصر الذى أراد الله عز وجل أن يطلعنا فيه بجلاء على سفاهة عقول القلة المترفة التى تحكم العالم اليوم.

ووالله لقد آن الأوان لتفىء البشرية مـرة أخرى إلى منهج الله لتستظل بظلاله الوارفة بعد أن أحرقها لفح الهاجرة القاتل.

نسأل الله أن يرد البشرية إلى الإسلام رداً جميلاً وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين إنه ولى ذلك ومولاه . . . الدعاء.

❊ ❊ ❊

الخطبة التاسعة :



الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة . . ، الحمدُ لله الذى أنهى بالموت آمال القياصرة . . ، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور . . ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود . .، ومن ملاعبة النساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان . . ، ومن التنعم فى الطعام والشراب إلى التمرغ فى الوحلِ والتراب.

سبحانه . . سبحانه . . سبحانه

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

اللهم تتابع برك . . ، واتصل خيرك . . ، وكمل عطاؤك . . ، وعمت فواضلك . . ، وتمت نوافلك . . ، وبر قسمك . . ، وصدق وعدك . . ، وحق على أعدائك وعيدك ووعدك . . ، ولم تبق حاجة لنا إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين.

* وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

* هو الواحد الذى لا ضد له . . ، وهو الصمد الذى لا منازع له . . ،

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد النبى موسى - السويس.

وهو الغنى الذى لا حاجة له. . ، وهو القوى الذى لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء. . ، وهو جبار السموات والأرض. . لا راد لحكمه. . ولا معقب لأمره.

* هو الأول فلا شىء قبله. . ، وهو الآخر فلا شىء بعده. . ، وهو الظاهر فلا شىء فوقه. . ، وهو الباطن فلا شىء دونه. . ، وهو على كل شىء قدير.

هو الحى الذى لا يموت. . ، صاحبُ الملك والملكوت. . ، صاحب العزة والجبروت. . ، الذى كتب الفناء على جميع خلقه. . ، وهو الحيُ الباقى الذى لا يموت.

* وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الرسالة. . ، وبلغ الأمانة. . ، ونصح الأمة. . ، وكشف الله به الغمة. . ، وعبد ربَه حتى لبىَّ داعيه. . ، وجاهد فى سبيله حتى أجاب مناديه. . ، وعاش طوال أيامه ولياليه. . يمشى على شوك الأسى ويخطو على جمر الكيد والعنت. . ، يلتمس الطريق لهداية الضالين. . ، وإرشاد الحائرين. . ، حتى علَّم الجاهل. . ، وقوم المعوج. . ، وأمَّن الخائف. . ، وطمأن القلق. . ، ونشر أضواءَ الحقِ والخيرِ والإيمان والتوحيد. . ، كما تنشر الشمسُ ضيائها فى رابعة النهار. فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته. ، . وصلى اللهم وسلم. . وزد وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعــد . .

أحبتى فى الله: لقد خلق اللهُ الأرض، واختار منها بلده الحرام ففضَّله على جميع بقاع الأرض.

وخلق اللهُ السموات سبعاً، فاختار العليا منها ففضلها بالقرب من كرسيه ومن عرشه جل وعلا.

وخلق اللهُ الجنان وفضَّل جنةَ الفردوس على سائر الجنان فسقفُها عرش الرحمن.

وخلق الله الملائكة واصطفى منهم جبريل وإسرافيل وميكائيل.

فجبريل صاحبُ الوحى الذى به حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل صاحبُ القطر الذى به حياةُ الأرض ومن عليها من الأحياء.

وإسرافيل صاحبُ الصور الذى بنفخته يُبعث الناسُ ليوم النشور.

وخلق الله البشر واصطفى منهم الأنبياء والرسل واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة واصطفى من أولى العزم خليله وحبيبه محمداً ﷺ ففضله على جميع الأنبياء والمرسلين. وتلبية لرغبة إخواننا وأحبابنا فإن موعدنا اليوم مع رسول الله ﷺ بين التكريم والموت.

وما أجملَ أن يكون اللقاءُ مع رسول الله!

وما أحلى أن يكون الحديثُ عن رسول الله!

فهو إمامُ الأنبياء.. وإمامُ الأتقياء.. وإمامُ الأصفياء.

وخاتمُ الأنبياء.. وسيدُ المرسلين.. وقائدُ الغر المحجلين.

وصاحبُ الشفاعةِ العظمى يوم الدين.. وصاحبُ المقامِ المحمود.. وصاحبُ اللواء المعقود.. وصاحبُ الحوضِ المورود.

شرح الله له صدره. . ، ورفع الله له ذكره. . ، ووضع الله عنه وزره. . ، وزكاه فى كل شىء.

زكاه فى عقله فقال: «**ما ضل صاحبكم وما غوى**».

وزكاه فى صدقه فقال: «**وما ينطق عن الهوى**».

وزكاه فى معلمه فقال: «**علمه شديد القوى**».

وزكاه فى بصره فقال: «**ما زاغ البصر وما طغى**».

وزكاه فى فؤاده فقال: «**ما كذب الفؤاد ما رأى**».

وزكاه فى صدره فقال: «**ألم نشرح لك صدرك**».

وزكاه فى ذكره فقال: «**ورفعنا لك ذكرك**».

وزكاه كله فقال: «**وإنك لعلى خلق عظيم**».

فهو حبيب الله. . وهو خليل الله. . وهو أكرم الخلق على الله عز وجل.

وما من نبى من الأنبياء إلا وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن برسول الله ﷺ وأن ينصره إذا بعث كما قال الله جل وعلا فى سورة آل عمران:

﴿**وَإذ أَخَذَ اللَّه ميثَاقَ النَّبيين لَمَا أَتيتُكُم من كتاب وحكمة ثم جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدّقٌ لمَا مَعَكُمَ لَتُؤمنُنَّ به ولَتَنصُرُنَّه قَالَ ءَأَقررتُم وأَخَذتُم عَلَى ذَلكُم إصرِى قَالُوا أَقرَرنَا قَالَ فاشهَدُوا وأَنَا مَعَكُم منَ الشَّاهدين**﴾[1].

* وفى الحديث الذى أخرجه مسلم والترمذى وأحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

---

(١) سورة آل عمران: ٨١.

«فُضلتُ على الأنبياءِ بست :

١- أعطيتُ جوامعَ الكلم .

٢- ونُصرتُ بالرعب . (وفى رواية البخارى **مسيرة شهر**) .

٣- وأُحلتْ لىَ الغنائمُ .

٤- وجُعلت لىَ الأرضُ طهوراً ومسجداً .

٥- وأُرسلتُ إلى الخلق كافة .

٦- وختم بى النبيون»[1] .

※ وفى الحديث الذى رواه البخارى، ومسلم، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن مثلى ومثلُ الأنبياء من قبلى، كمثل رجلٍ بنى بُنياناً فَاحْسَنَه وأَجْمَلَه، إلا موضع لبنةٍ من زاويةٍ من زواياه، فجعل الناسُ يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قال: فانا اللَّبِنَةُ وانا خَاتَم النَّبِيِيْن»**[2] .

※ وفى الحديث الذى رواه مسلم، وأبو داود، وأحمد، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«انا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامة، واولُ من يَنْشَقُ عنه القبرُ واولُ شافعٍ واولُ مُشَفع»**[3] .

ففى يوم يزداد همهُ وكربه، على جميع الناس، يومَ تدنو الشمسُ من

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٤٢٢٢]، رواه البخارى (٦/ ٩٠) فى الجهاد، ومسلم رقم (٥٢٣) فى المساجد، والترمذى (١٥٥٣) فى السير، والنسائى (٦/٣، ٤) فى الجهاد.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٥٨٥٧]، رواه البخارى (٦/٤٠٨) فى الأنبياء، ومسلم رقم (٢٢٨٦) فى الفضائل، والترمذى رقم (٢٨٦٦) فى الأمثال.

(٣) **صحيح**: [مختصر مسلم: ١٥٢٤]، رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) فى الفضائل، وأبو داود رقم (٤٧٦٣) فى السنة، والترمذى رقم (٣٦١٥) فى المناقب، وأحمد فى مسنده (٢/ ٥٤٠).

الرءوس فتـغلى من حرارتها ثم يؤتى بجهنم كـما أخبر الحـبيب ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث عـبد الله بن مسعود: «**يؤتى بجـهنم يومئذٍ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملَك يجرُّونها**»[١].

فإذا رأت الخلائق زفرت، وزمجرت غضباً لغضب الله عز وجل فإذا رأها الخلائق لا يقوى مخلوق فى أرض المحـشر أن يقف على قدميه من الحسرة والفزع والهول فيخر جاثياً على ركبته.

﴿**يوم ترى كل أمة جاثية**﴾[٢].

ويطول الموقف على جميع الناس، حتى الأنبياء، فيقول بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيـه. . ، ألا ترون ما قد بلغكم. . ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناسُ لبعض ائتوا آدم عليه السلام.

* والحـديث رواه البخـارى ومسلم وأحـمـد وهذا لفظ أحمـد من حـديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال يومـاً: **أنا سيدُ الناسِ يوم القيامة وهل تدرون ممَّ ذاك؟**

يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد.

فيقـول بعضُ الناسِ لبعضٍ ائتوا آدمَ فيقولون يا آدمُ: أنت أبو البـشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلَغَنا؟

فيقول آدم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مِثلَهُ ولن يغضب

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٨٠٠١]، رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) فى صفـة الجنة، والترمذى رقم (٢٥٧٦) فى صفة جهنم.

(٢) سورة الجاثية: ٢٨.

بعده مثلَهُ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُ، نفسي . . ، نفسي . . ، نفسي . . ، اذهبوا إلى غيري .

اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوحُ أنت أولُ الرسلِ إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول نوحُ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لى دعوةٌ دعوتُ بها على قومى . نفسى . . ، نفسى . . ، نفسى . . ، اذهبوا إلى غيرى .

اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيمُ أنت نبىّ الله وخليلُهُ من أهل الأرض ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟

فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كَذَباته . نفسى . . ، نفسى . . ، نفسى . . ، اذهبوا إلى غيرى .

اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى .

فيقولون : يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم موسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسى . . ، نفسى . . ، نفسى . . ، اذهبوا إلى غيرى .

اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى.

فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ الله وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، قال: هكذا هو. وكلمتَ الناسَ في المهـد فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي. . ، نفسي. . ، نفسي. . ، اذهبوا إلى غيري.

اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني. فيقولون يا محـمد أنت رسولُ الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخـر، فاشفع لنـا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فأقومُ فـآتي تحت العرش فأقعُ ساجـداً لربي عز وجل، ثم يَفْتَحُ اللهُ عليَّ ويُلهِمُني من محامده وحُسنِ الثناءِ عليه ما لم يفتحْهُ على أحدٍ قبلي.

فيقال: يا محمـدُ ارفع رأسك سل تعطه، اشفع تُشفّع فأقول: ياربِّ أمتي أمـتي، يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمـتي. وفي الروايات الأخرى فأقـول يارب وعدتني الشفاعـة فشفـعني في خلقك فاقض بينهم فيـقول سبحانه وتعالى شفعتك أنا أتيكم فأقضِ بينكم(١).

وصدق الله عز وجل إذ يقول:

﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ١٤٦٦]، رواه البـخاري (٢/٣٣٤-٣٣٥)، ومسلم (١/١٢٧-١٢٩)، وأحـمـد (٢/ ٤٣٥)، وابن خـزيمة (١٩٧)،وأبو عـوانة (١/ ١٧٠-١٧٥)، والتـرمـذي (٢/ ٧٠-٧١) وصححه.

* وبالجملة أيها الأحباب:

فإن الله عز وجل قد كرم نبيه محمداً ﷺ تكريماً فى الدنيا والآخرة ما كرمه لأحدٍ من العالمين.

فهل منعه هذا التكريم من الموت . كلا **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت تحيد﴾**[١].

إلى أن نزل عليه قول الله جل وعلا:

﴿إذا جاء نصر اللَّه والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين اللَّه أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾[٢].

أخرج الطبرانى عن جابر بن عبد الله أنه قال لما نزلت هذه السورة.

قال النبى لجبريل: «نعيت إلى نفسى يا جبريل.

فقال جبريلُ: والآخرة خير لك من الأولى».

وفى الحديث الذى انفرد به البخارى عن ابن عباس أنه قال فى سورة النصر هو أجل رسول الله.

وفى الحديث الذى رواه أحمد عن ابن عباس لما نزلت قال ﷺ: **«نعيت إلى نفسى»**[٣].

وقال مجاهد والضحاك وغيرهم إنها أجلُ رسول الله.

وفى أول شهر ربيع الأول من العام الحادى عشر للهجرة بدأ رسولُ الله ﷺ يحسُ بالألم الشديد فى رأسه فكان أولَ ما ابتدأ به رسول الله ﷺ أنه خرج إلى بقيع الغرقد. فسلم على أهل البقيع واستغفر لهم.

---

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) سورة النصر.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى رقم (٤٩٦٩) فى التفسير.

تقول عائشة رضى الله عنها فلمـا رجع رسولُ الله من البقيع وجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأنا أقول وا رأساه فقال: **«بَلْ أنا واللّهِ يا عائشة وا رأساه»**[1].

فقامت عائشة رضى الله عنها الصديقةُ بنتُ الصديق ترقى النبى ﷺ.

ففى الحديث الـذى رواه البخارى ومسلم أن عائشـة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نَفَثَ على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيـده فلما اشـتكى وجعه الـذى تُوفِّى فيه طفـقت أنفثُ على نفـسه بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبى عنه».

وفى رواية للإمام مالك.

وامسح بيد النبى على جسده رجاءَ بَركَتِها.

وفى رواية الإمام مسلم.

وامسح بيد رسول الله لأنها كانت أعظمَ بركةً من يَدى».

* واشتد الوجعُ برسول الله وهو فى بيت ميمونة رضى الله عنها فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيت عائشة فإذنَّ له رضى الله عنهن.

واشتد الوجعُ والألمُ برسول الله ﷺ حتى قَلِق الصحابةُ قلقاً شديداً وحزنوا حزناً بليغاً فشعر النبىُ بهذا الحزن وهذا القلق.

فأمرهم أن يصبوا عليه الماء.

كما ورد فى الحـديث الذى رواه البخارى من حديث عـائشة رضى الله عنها قالت:

---

(١) **صحيح**: [صـحيـح ابن ماجـه: ١١٩٧]، رواه ابن مـاجـه رقم (١٤٦٥) فى الجنائز، والدارمى (١/٣٧) المقدمة.

لما دخل رسول الله بيتى واشتد به وجعه قال هريقوا علىَّ من سبع قِرَب لعلى أعهد إلى الناس. وفى رواية ابن إسحاق حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم.

تقول عائشة فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى ثم طفقنا نصبُ عليه من تلك القرب حتى طفق يشيرُ إلينا بيده أن قد فعلتن (وفى رواية ابن إسحاق) حتى طفق يقول حسبكُم حسبكُم».

ثم خرجَ إلى الناس عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر.

فكان أول ما ذكر بعد حمدِ الله والثناء عليه ذكر أصحابَ أحدٍ فاستغفر لهم ودعا لهم وأكثر الصلاة عليهم. ثم قال:

«أيها الناس إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكتهم»[1].

ثم قال ﷺ:

إن عبداً من عبادِ الله خيَّرهُ الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عند الله فاختار ما عند الله ففهمها أبو بكر رضى الله عنه وعرف أن العبد المخير هو رسولُ الله فبكى الصديق وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

بل نحن نفديك بأبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا فعجب الناسُ من بكاء أبى بكر رضى الله عنه فقال الرسول ﷺ:

على رسلك يا أبا بكر.

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ٢٤٦٩]، رواه البخارى (١١/ ٤١٤) فى الرقاق، وفى الجنائز، وفى الأنبياء، وفى المغازى، ومسلم رقم (٢٢٩٦) فى الفضائل.

ثم قال: **أيها الناس إن أمنَّ الناسِ عليَّ بصحبته وماله أبو بكر.**

كلكم كان له عندنا يدٌ كافأناه بها متخذاً إلا الصِّديق فإنا تركنا مكافاته لله عز وجل.

لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة وصحبة وانظروا إلى هذه الأبواب النافذة إلى المسجد فسدوها إلا بيت أبى بكر»[1].

ثم قال: «**يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد وإنّهم كانوا عيبتى التى أويت إليها فاحسنوا إلى مُحْسِنِهِم وتجاوزوا عن مُسِيئِهِم»**[2] والحديث رواه البخارى ومسلم..

ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيت عائشة وتقامَّ به وجعه، وثقل عليه المرض، ولم يعد يقدر على الخروج للصلاة بالمسلمين، فأمر النبى ﷺ أن يصلى أبو بكر رضى الله عنه بالمسلمين.

وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن عبد الله بن مسعود دخل على رسول الله ﷺ وقد اشتدت به الحمى فقال:

إنك لتوعك وعكاً شديداً يا رسول الله قال: **أجل يا عبد الله إنى اوعك كما يوعك الرجلان منكم قلت إن لك لأجرين قال: نعم والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض مما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها»**[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١/ ٢٢، ٤٢٩، ٢/٦٣٨)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٦)، وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٢٧).

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٩٥٩]، أخرجه ابن حبان (٢٢٩٣)، وأحمد (٣/١٨٧، ٢٠٥-٢٠٦)،وأحمد (٣/ ١٦٢).

(٣) **متفق عليه**: [ص.ج: ٥٧٦٣]، رواه البخارى (١٠/ ١١٦) فى المرض، ومسلم (١٦/ ١٢٧) فى البر والصلة.

ثم دخل عليَّ عبد الرحمنُ بن أبى بكر كما تقول عائشة رضى الله عنها فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم قالت:

«إن الله جمع بين ريقى وريقه عند الموت دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدرى، فرأيته ينظر إلى السواك، وأنا أعرف أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك يا رسول الله، فأشار برأسه: أن نعم. فتناولته فأخذته، ومضغته، ثم لينته، ثم طيبته، ثم أعطيته لرسول الله ﷺ فاستاك به جيداً، فلما انتهى أخذت السواك وأخذتُ أمْتَصُ من السواك ريق رسول الله فكان هذا هو آخر عهدى بريق المصطفى ﷺ.

فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وكان ﷺ بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يُدخل يده فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات. اللهم أعنى على سكرات الموت**»[1].

* وأقبلت عليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكانت من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت إذا دخلت عليه فى حالة صحته قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه ولكنه اليوم لا يستطيع القيام كما ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى والنسائى. وابن حبان والحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها.

«ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً برسول الله بقيامها وقعودها من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبى قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه».

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٧١٧٥]، رواه البخارى (٢/ ٦٤٠) باب «مرضى النبى ﷺ».

فلما مرض الرسول دعاها كما ورد فى الحديث الذى رواه البخارى من حديث عائشة. «دعا النبى فاطمة عليها السلام فى شكواه الذى قبض فيه فسارها بشىء فبكت ثم دعاها فسارها بشىء فضحكت فسألنا عن ذلك فقالت: سارنى النبى أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه، فبكيت ثم سارنى فأخبرنى أنى أولُ أهله (لحوقاً به) يتبعه، فضحكت»[1].

ثم قال: **يا فاطمة إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مره ولقد عارضنى القرآن فى هذا العام مرتين وما أراه إلا أنه قد اقترب الأجل يا فاطمة** فبكت رضى الله عنها فقال: **يا فاطمة إنك أشدُ نساءِ المسلمين مصاباً بى بعد موتى فلا تكونى أقل امرأةٍ منهم صبراً فاصبرى يابنتى واحتسبى عند الله أجركى** فقامت فاطمة تبكى وهى تقول احتسبتك عند الله يا رسول الله.

* فلما كان يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وقام على باب عائشة فكاد المسلمون يُفتنون فى صلاتهم فرحاً برسول الله حين رأوه وهمَّ أبو بكر أن يتأخر فأشار إليهم أن أثبتوا على صلاتكم وتبسم ﷺ لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ثم رجع وأرخى الستر[2].

وعاد وقد اقترب الأجل وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهى.

تقول عائشة: «مات رسول الله بين سحرى ونحرى وأنا مسندته إلى

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢/٦٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢/ ٦٤٠) فى مرض النبى ﷺ.

صدرى فرأيته رفع يده أو إصبعه ثم قال: **بل الرفيق الأعلى ..، بل الرفيق الأعلى ..، بل الرفيق الأعلى** فعلمت أنه لا يختارنا»[١].

وعن أنس قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب»[٢].

مات رسول الله.. مات المصطفى محمد ﷺ.. مات خير خلق الله.. مات إمام الأنبياء.. ومات إمام الأصفياء.. مات إمام الأتقياء.

وقام عمر يصرخ ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات وإن رسول الله والله ما مات ولكنه ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات.

وعقر علىّ فقعد فى الأرض لا يستطيع القيام.

وخرس لسان عثمان يذهب به ويأتى به من يده لا يتكلم.

وجاء الصديق وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على الجسمان الطاهر الشريف وهو مسجى فى بيت عائشة فكشف الثوب عن وجهه وأقبل عليه يقبله، وبكى وهو يقول: بأبى أنت وأمى يا رسول الله..

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢/٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١) باب «آخر ما تكلم النبى ﷺ».

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢/ ٦٤١)، (٧/ ٧٥٥) فى كتاب المغازى، وأحمد (٣/ ٢٠٤)، والدارمى (١/ ٤٠، ٤١)، وابن ماجه (١٦٣٠) وغيرهم.

وانبياه واصفياه واخليلاه. أما الموته التى قد كتبهـا الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موته أبداً ثم رد البرد على وجهه، وخرج إلى الناس فقال: على رسلك يا عمر فأبى إلا أن يتكلم فأقبل الناس على أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على الناس قول الله تعالى: ﴿**وما مُحمَّدٌ إلا رسولٌ قَد خَلَت من قـبله الرُّسُل أفـإن مَّات أو قتل انقلـبتم على أعـقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللَّه شيئاً * وسيجزى اللَّه الشاكرين**﴾[1].

فوالله لكأن النـاس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلـت وأخذها الناس عن أبى بكر فإنما هى فى أفـواههم. فلما سمعـها عمر عـقر ووقع على الأرض لا تحمله رجلاه وعلم أن رسول الله قد مات[2].

وجاءت فاطمة تبكى وتقول: يا أبتاه أجابَ رباً دعاه. . ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. . ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه[3].

ثم غسلوه فى ثيابه، وكفنوه، ودفنوه فى حجرة عائشة رضى الله عنها.

والله إن العين لتدمع. . وإن القلب ليحـزن. . وإنا لفراق رسول الله لمحزونون.

* * *

(١) سورة محمد: ١٤٤.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢/ ٦٤٠، ٦٤١).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٢/ ٦٤١) باب «مرضى النبى ﷺ».

الخطبة الثانية:

إنها الحقيقة الكبرى يا عباد الله. . .

﴿كلُ نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخِلَ الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(١).

إنها الحقيقة التى تسربل بها طوعاً أو كرهاً العصاة والطائعون وشرب كأسها الأنبياءُ والمرسلون. . إنها الحقيقة التى تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة الذل والعبودية لقهار السموات والأرض. . إنها الحقيقة التى تعلن على مدى الزمان والمكان فى أُذن كل سامع وعقل كل مفكر وأديب أنه لابقاء إلا لله الحىِّ القيوم.

أيا عبد كم يراك الله عاصياً حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاءَ الله واللحدَ والثرى ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثياباً من التُقَّى تجرد عرياناً ولو كان كاسياً
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول حياً وباقياً

فلترسخ هذه الحقيقة فى القلوب والعقول ولنعلم أن قدر رسول الله فى قلوبنا على قدر اتباعنا له. فمحبتنا له ﷺ تستلزم اتباعه فى كل ما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وتصديقه فى كل ما أخبر ومحبته أكثر من النفس والمال والولد دون غلو أو إطراء. . اللهم صلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته واحشرنا فى زمرته وتحت لواءه واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً يارب العالمين. . . الدعاء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.



الخطبة العاشرة :

رحلتى إلى أمريكا(*)
بين الحقائق والآمال والواجبات

الحمـد لله الذى نور بكتابه القلوب.. وأنزله فى أوجز لفظ وأعـجز أسلوب.. فـأعيـت بلاغتُه البلغـاء.. وأعـجزت حكـمتُه الحكمـاء.. وأبكمت فصحاته الخطباء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهـد أن محمـداً عبده ورسـوله وصفيه مـن خلقه وخليله البشـير النذير.. السراجُ المزهر المنير.. خيرُ الأنبياء مقاماً.. وأحسنُ الأنبياء كلاماً.

رافع الإصر والأغلال.

والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناسُ صنفان.

مغضوب عليهم جفاة.. وضالون غُلاة.

فجاء بالدين الوسط..، وحذر من الزيغ والشطط..، وتركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته..، ورسولاً عن دعوته..، ورسالته..، وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(*) كانت هذه الرحلة فى شهـر ديسمبر لعام ١٩٩٣م، جامع الراجـحى بالقصيم - المملكة العربية السعودية..

وبعد . . فحيا الله هذه الوجوة الطيبة المشرقة وزكى الله هذه الأنفس وشرح الله هذه الصدور وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال وأن يجمعنا وإياكم فى الدنيا على طاعته وفى الآخرة فى جنته ودار كرامته .

أيها الأحبة :

اسمحوا لى أن يكون لقاؤنا اليومَ بعد هذه الغيبة بعنوان :

«رحلتى إلى أمريكا بين الحقائق والآمالِ والواجبات» .

فلقد شرفنى اللهُ جل وعلا بالمشاركةِ فى ثلاثةِ مؤتمراتٍ إسلامية عُقدت فى أمريكا فى الأيام الأخيرة من هذا العام المنصرم فى النصف الثانى من شهر ديسمبر .

أما المؤتمرُ الأول فقد عُقد فى مدينة إنديانا بوليس تحت إشراف جمعية القرآنِ والسنة التى يقوم عليها إخوةٌ كرامٌ أفاضل يقدمون الإسلام غضاً صافياً من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة .

يقدمونه للناس فى بيئة أحرقها لفحُ الهاجرةِ القاتل وأرهقها طولُ المشى فى التيه والظلام .

وكان موضوعُ المؤتمر فى هذا العام بعنوان : «العملُ الإسلامىُ المعاصر بين عذاب الاختلاف ورحمة الائتلاف» .

وقد شارك فيه مجموعةٌ كريمةٌ من العلماء والدعاة وحضره عدةُ مئات من المسلمين والمسلمات .

أما المؤتمر الثانى فقد عقد فى مدينة «ديترُويت» تحت إشراف رابطة الشباب المسلم العربى التى يقوم عليها أخوةٌ يعتز بهم كلُ مسلم . إخوةٌ

واصلوا الليلَ بالنهـار فى العمل الجاد المخلص للإسـلام فى هذه البلاد. وبلغوا درجةً من التنظيم والتنسيق تبعث على الفخر والاعتزاز.

وقد حضر هـذا المؤتمر ستة آلاف مسلمٍ ومسلمة فى مظاهرة إسـلامية تُبكى العيونَ فرحاً. وتملأ القلوبَ أملاً. !!

وقد شارك فـيه عدد كبيـر من أكابر العلماء والدعاة أيـضاً من معظم أنحاء العالم الإسلامى. وكان موضوع المؤتمر «الأمة الإسلاميةُ شروق لا غروب».

أما المؤتمر الثـالث فقد عُقد فى كندا تحت إشـراف الاتحاد الإسلامى الصومالى وكان يقـوم عليه إخوةٌ فضلاء من الصومال، وقـد حضره عدة مئات من المسـلمين والمسلمات وشارك فيـه مجموعة من العـلماءوالدعاة وكان موضوعه «نحو منهج السلف».

ثم قمنا بزيارة بعض المراكز الإسلامية، وكانت سعادتُنا غامرة ونحن نتجول فى مركز الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامـية فى فرچينيا هذا الصرح الذى افتتح رسـمياً منذ عام تقريبـاً ويقدم جهداً عظيـماً للدعوة إلى الله فى مثل هذه البـلاد بأحدث الطرق العلمية والتقنية للعرب والأمريكان.

ومن بديع مـا قـدمه هذا المعـهـد فى هذه الفتـرة القـريبـة برنامجـاً بالكمبيوتر لتعليم الإسلام باللغـة الإنجليزية لغير المسلمين. بالإضافة إلى التعليم وطبع النشرات والدوريات وترجمة بعض الكتب.

ويقوم عليه إخوة كرامٌ أفاضل يحملون همَ هذا الدين فنسأل الله لهم ولجميع الإخـوة العاملين للإسلام الثبات والتـوفيق إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير.

وبعد هذه الجولة السريعة فى عدة ولايات استطيعُ أن أسجل لكم بعض انطباعاتى بين الحقائق والآمال والواجبات فى نقاطٍ سريعة.

أولاً - الحقائق:

وإن أكبر حقيقةٍ أذكر بها نفسى وإياكم أن من قدَّر الله له زيارة هذه البلاد عرف أن أعظمَ نعمةٍ امتن الله بها علينا هى نعمةُ الإسلام والإيمان.

وذلك محضُ فضلِ الله علينا ابتداءً وانتهاءً.. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِن نعمَةٍ فَمِنَ اللَّه﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِليكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُم وَكَرَّهَ إِلَيكُمُ الكُفرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضلاً مِنَ اللَّهِ ونِعمَةً واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيكُم أَن هَدَاكُم للإيمَانِ إِن كُنتُم صَادِقِين﴾[3].

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**كلُ مولود يولد على الفطرة**»[4]، وفى لفظ مسلم: «**ما من مولودٍ إلا ويولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه وينصرانه ويمجسانه كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء**»[5]

---

(١) سورة النمل: ٥٣. (٢) سورة الحجرات: ٧، ٨.

(٣) سورة الحجرات: ١٧.

(٤) **صحيح**: [ص.ج: ٤٥٥٩] أخرجه البخارى (١/ ٣٤١، ٣٤٨)، ومسلم (٨/ ٥٣)، والطيالسى (٢٣٥٩)، أحمد (٢/ ٢٩٣).

(٥) **صحيح**: [ص.ج: ٥٧٨٤]، رواه البخارى فى الجنائز (٣/ ١٧٦، ١٩٧، ١٩٩)، وأخرجه مسلم رقم (٢٦٥٨) فى القدر، والموطأ (٥٢) الجنائز، والترمذى رقم (٢١٣٩) فى القدر، أبو داود رقم (٤٧١٤) فى السنة.

(أى مجتمعة الأعضاء) ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم قول الله عز وجل: ﴿فطرة اللّه التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّه﴾.

وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حِمار وفيه أن النبى ﷺ قال: «**قال اللّه تعالى: إنى خلقتُ عبادى حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً**».

فمن نحنُ ليشرفنا اللهُ بعبادته وتوحيده وطاعته جل وعلا.. إنه فضل الله علينا ابتداءً وانتهاءً لم ننله بفضل عقل ولا بقوة بدن.

وممـا زادنى فخراً وتيهاً ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى ... وأن أرسلت أحمدَ لى نبياً

فلا يسعنا إلا أن نخر لله سجداً.

وأن نحمده فى كل نفس من أنفاس حياتنا على هذه النعمة العظيمة.

وأن نضرع إليه مخلصين أن يحفظها علينا، وأن يختم لنا بها عند الموت لنسعد فى الدنيا والآخرة.

ويزداد فضل الله علينا، وتغمرنا رحمته وبركته ويغشانا إحسانه بعد إنعامه علينا بنعمة الإسلام والإيمان بأن يختار لنا بيئةً طيبة تعيننا على طاعة الله وتذكرنا به إذا نسينا..

فإن البيئة هناك لا تذكرك بالله أبداً بل تدفعك دفعاً ولو كنت ورعاً تقياً إلى معصية الله جل وعلا..!!

ففى كل مكان ترى المعصية، فى الطائرة..، فى القطار..، فى الباص..، فى الشارع..، فى الفندق..، فى المحل..، فى المطعم..،

فى المأكل. . ، فى المشرب. . ، وتخشى إذا ابتعدت عن إخوانك أن تأكل أو أن تشرب، فهى بيئة تتصاعد منها أنفاسُ العصاة فى كل لحظة.

ومن رأى هذه البيئة، وعاش فيها عرف يقيناً.

وأقسم على ذلك بالله العظيم إن أطهر وأشرف بيئة على ظهر هذه الأرض، تعينك على طاعة الله، وتحجزك عن معصية الله هى بلاد الحرمين الشريفين ولا ينكر ذلك إلا جاحدٌ مريضُ القلب، فهى جزيرة الإسلام ومهبط الوحى وأرض الرسالات والنبوات وفيها بيت الله جل وعلا ومسجدُ رسوله المصطفى ونبيه المجتبى ﷺ.

وكيف لا وقد قال الصادق المصدوق ﷺ مخاطباً مكة يوم هجرته منها: «**والله إنك لخيرُ أرض الله وأحبُ أرض الله إلى الله ولولا أنى أُخرجتُ منكِ ما خرجتُ**» أخرجه الترمذى وابن ماجه وإسناده صحيح.

ودعا الحبيب لمدينته الغراء كما فى صحيح البخارى ومسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة**»(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قال: «**على أنقاب المدينة ملائكةٌ لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(٢).

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قال: «**إن الإيمان ليأرِزُ**

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ١٢٥٦]، أخرجه مسلم رقم (١٣٦٩) فى الحج.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٤٠٢٩]، رواه البخارى (٤/ ٨٢) فى الفضائل وفى الطب وفى الفتن، ورواه مسلم رقم (١٣٧٩)، (١٣٨٠) فى الحج، والموطأ (٢/ ٨٩٢) فى الجامع، والترمذى رقم (٢٢٤٤) فى الفتن.

إلى المدينة كما تأرزُ الحيةُ إلى جحرها»[١]، وفى لفظ مسلم «**أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز (أى ينضمُ ويجتمع) بين المسجدين أى بين المسجد الحرام والمسجد النبوى كما تأرز الحيةُ فى جحرها**»[٢].

وقال بأبى هو وأمى فى جزيرة العرب كما فى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال ﷺ:

«**إن الشيطان قد أيِسَ أن يَعبُدَهُ المصلُّوَن فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم**»[٣] أى بإيقاع الفتن بين الناس وحمل بعضهم على بعض.

فمن منَّ الله عليه، وأسكنه هذه البلاد، وتلك الأرض، فليحمد الله عز وجل وليعرف قدر هذه النعمة فإنها والله أرضٌ مباركة طيبة تدفعك دفعاً إلى طاعة الله، وتحول بينك وبين معصية الله، وتعيش فيها آمناً على دينك، وهذا أعظمُ أمانٍ على الإطلاق.

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلَم ورُزِقَ كَفَافاً وقنَّعه الله بما آتاه**»[٣]. وفى لفظ الترمذى من حديث فُضَاله بن عبيد أنه ﷺ قال: «**طوبى لمن هُدِى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقَنَع**».

فكيف بمن هداه الله للإسلام وأسكنه بلاد الإسلام وأغدق عليه

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٥٨٩]، رواه البخارى (٤/ ٨٠، ٨١) فى فضائل المدينة، ومسلم رقم (١٤٧) فى الإيمان.

(٢) صحيح: [ص.ج: ١٥٨١]، رواه مسلم رقم (١٤٦) فى الإيمان.

(٣) صحيح: [ص.ج: ١٦٥١]، رواه مسلم رقم (٢٨١٢) فى الفتن.

(٤) صحيح: [ص.ج: ٤٣٦٨]، رواه مسلم رقم (١٠٥٤) فى الزكاة، والترمذى رقم (٢٣٤٩) فى الزهد..

العطاء والنعم فلنعرف نعمة الله علينا ولنخر له سجداً شاكرين ولنؤدى حق الله علينا فى كل هذه النعم ونضرع إلى الله تعالى أن يجعل بلاد الحرمين أمناً أماناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين إنه على كل شىء قدير.

ثانياً - الآمال ..

وهى كثيرة ولله الحمد والمنة.. وكلُها تردد بثقةٍ ويقين قائلةً:

إن الإسلامَ قادم كقدوم الليل والنهار.

ولئن عرف التاريخ أوساً وخزرجا   فللَّـه أوسٌ قـادمون وخـزرج

وإن كنوز الغيب تخفى طلائعاً حرة   رغـم المكائـدِ تخـرجُ

نعم.. إن أمة الإسلام قد مـرضت وطال مرضها..، ونامت وطال رقادها..، ولكنها بفضل الله جل وعلا لا تموت.

وإن الذى يفصل فى الأمر فى نهـاية المطاف ليس قوةُ الباطل، ولكن الذى يفصل فى الأمر هو قوة الحق.

ولا شك على الإطلاق أن مـعنا الحق الذى من أجله خلقت السموات والأرض..، والجنة والنـار..، ومن أجله أنزلت الكـتب..، وأرسلت الرسل.

معنا رصيد الـفطرة.. فطرةُ الكون وفطرة الإنسان.. وقبل كل ذلك وبعد كل ذلك معنا الله، ويا لها والله من معية كريمة مباركة **﴿واللَّه غَالِبٌ عَلَى أَمرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُونَ﴾**[1].

---

(١) سورة يوسف: ٢١.

﴿وَلَقَد سَبقَت كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسَلِين إنهُم لَهُمُ المنصُورُون وإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُون﴾[1].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللَّه بِأفواهِهِم واللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كره الكافرون﴾[2].

نعم أيها الأحباب:

إنه وعد الله الذى لا يخلف وسنة الله التى لا تتغير ولا تتبدل.

يقول المفكر الشهير (ماكنيل): «إن الحضارة الغربية الآن فى الطور الأخيرة من أطوار حياتها...».

نعم أيها الأحبة:

فلقد استطاعت الحضارة الغربية أن تقدم تكنيكاً رائعاً وتقدماً علمياً مذهلاً، يناطح السحاب وحولت العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق التقدم المذهل فى عالم الاتصالات والمواصلات.

ولكنها فشلت أن تقدم الراحة للقلوب..، والطمأنينة للنفوس..، والسكينة للإنسان..، والاستقرار للضمير..، والهدوء للأعصاب. والسَّبب بسيط جداً وهو:

أن هذه الأمور تتعلق بالروح، بالشق الثانى من هذا الإنسان والروحُ لا يشبعها ولا يسعدها ولا يريحها إلا أن تعبد خالقها عز وجل.

فالحضارة الغربية فضلت فى أن تتعامل مع إنسانية الإنسان لأنها لا تُقاس بالأمتار..، ولا توزن بالجرام..، ولا تخضع للبارومتر

(١) سورة الصافات: ١٧٣.

(٢) سورة الصف: ٧.

الزئبقى. . ، ولا تتجمد فى بوتقه الاختبار فى المعامل ولذا حصل الشقاءُ بِحَقٍ لإنسان هذه الحضارة من اليأس. . ، والقلق. . ، والألم. . ، والملل. . ، والتمرد. . ، والتمزق. . ، والمأساة. . ، والشذوذ. . ، والجنس بكل صوره وأشكاله.

حتى يقول آرثر ميللر الكاتب الأمريكى المشهور: «إن أكثر الأماكن براءةً فى بلدى هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون».

حتى لقد عقدت جامعة هارفارد فى عام ١٩٧٩ مؤتمراً لكبار الأساتذة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وجميع مجالات العلوم الإنسانية وطرح عليهم سؤالين هما:

* الأول: ما معنى الحياة فى أمريكا؟

* والثانى: ما هى فلسفة التعليم وهدفه فى أمريكا؟

ويلخص شوبنهار حياة الغرب فى كلمات فيقول: «إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار، من الألم إلى الملل، وليستغث هذا الغربُ المسكين إلهه إذا شاء إنه سيظل فريسةَ مَصيره فالقدر لا يرحم».

وهناك إحصائيات أخيرة وخطيرة جداً تؤكد هذا الخطر.

ذلك وعد الله عز وجل.

قال سبحانه: ﴿فلمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به فَتَحنَا عَلَيهِم أَبوَابَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذنَاهُم بَغتَةً فَإِذَا هُم مُّبلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ القَومِ الذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1].

(١) سورة الأنعام: ٤٤، ٤٥.

ومن أروع ما قرأت للكاتب المشهور شبنجلز فى كتابه سقوط الحضارة يقول: «إن للحضـارة دوراتٍ فلكيةً تغرب هنا لتشـرق هناك وإن حضارةً جديدة أوشكت على الشروق فى أروع صورة هى حضارةُ الإسلام الذى يملك أقوى قوةٍ روحانيةٍ عالميةٍ نقية».

وإليكم هذه البشائرِ التى تُسعدُ كلَ مسلمٍ ومسلمة:

* ففى الشهـر الماضى أقيم فى البنتاجون حـفلٌ فريد من نوعه لأول مـرة فى تاريخ أمـريكا **وهو حفـل تنصيب إمام أمـريكى مسلم لـلصلاة بالمسلمين فى الجـيش** الأمـريكى وسـمح لهم القـانون بأداء الصـلاة فى أوقاتهـا فى وقت العمل الرسمى. وهـذا الإمام هو النقيب المسلم عـبد الرشـيد محـمد وهو أمـريكى مسلـم.. وحضر الحـفل عدةُ وفـود تمثل سفارات بعض الدول الإسـلامية وقد اهتمت وكـالات الأنباء والصحف والمجلات فى أمريكا بهذا الخبر الجديد.

* وصل عدد المسلمين فى أمريكا إلى ما يقرّب من **ستة مليون مسلم ومسلمة**.

* وصل عـددُ المسـاجد الآن فى أمـريكا إلى مـا يقـرب من ١٠٠٠ مسجد.

*فى شيكاغو وحدها التى تعتبـر من أكبر أماكن العالم فى الجريمة. بها **٤٩ مركز إسلامى**.

* مؤسسة إسلامية كبيرة تعرف بمؤسسة الأخت كليرا محمد أنشأت **خمسين مدرسة إسلامية** فى أكثر من ولاية وأنشأت **كلية المعلمين المسلمين** أخيراً فى فرجينا لتخريج المدرسين.

* افتتح فى آخر الشهر المنصرم أول **برنامج إذاعى إسلامى** فى إذاعة جديدة تسمى **صوت الحق** تبث برامجها للأمريكيين المسلمين باللغة الإنجليزية.

* افتتح منذ عام تقريباً معهد الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذى يعطى شهادة البكالوريوس والماچستير فى الدراسات الإسلامية، إلى جانب الأعمال الدَعَوِيَّة الأخرى فى ولاية فرچينا وغيرها من الولايات.

* وجود مثلُ هذه المؤتمرات والندوات والمجلات والدوريات التى يصدرها الأخوة الكرام من المسلمين العرب والأمريكان.. على الرغم من تفرقهم أحياناً واختلافهم فأدعو الله أن يجمع شملهم وأن يوحد صفهم وأن يؤلف بين قلوبهم إنه ولى ذلك ومولاه.

وأخيراً أيها الأحباب:

فالإسلام قادم كقدوم الليل والنهار.. ذلكم وعد الله ووعدُ رسوله الذى لا ينطق عن الهوى وفى الحديث الذى رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى من حديث تميم الدارى أنه ﷺ قال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر**».

والمبشرات القرآنية والنبوية كثيرة وقد أفردت لها لقائين بعنوان (**المستقبل لهذا الدين**) وكذلك (**بشرى وأمل**).

وها هى كتائبُ الصحوة الإسلامية العالمية المباركة تتوالى يغذيها كل

يوم شبان فى ريعان الصبا وفتيات فى عمر الورود تلكم الكواكب الكريمة . .

وأخيراً الواجبات :

فما هو دورنا وما واجبنا وما الذى قدمناه وما الذى يجب علينا أن نقدمه أيها الحبيب أيتها المسلمة :

كلنا على ثغر من ثغور الإسلام .

فواجبنا جميعاً أن نكون إيجابيين متجردين فى العمل لهذا الدين .

أغرس على قدر استطاعتك . . ، ولا تتعجل الثمرة حتى ولو أكلها غيرك ، فما عليك أنت إلا أن تغرس لهذا الدين حتى ولو قامت الساعة كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد عن أنس عن رسول الله ﷺ : **«إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر»** .

فلا تحقرن من المعروف شيئاً ، وابذل جهدك لدين الله على قدر استطاعتك .

وأحمل هم هذا الدين وتحرك بقلب يتحرق على الأمة التى نزفت دماؤها فى كل مكان ومزقت أشلاؤها ، وانتهكت أعراضها وسلبت أرضها .

فهل أنت كذلك أم أنك تنام ملء جفنيك وتأكل ملء بطنك وتضحك ملء فمك؟

علينا جميعاً أن نعمل للإسلام لنكون ممن شرفهم الله بالسير على طريق الأنبياء .

ففى الصحيح عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ : **«ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته**

ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

وعلينا أن نتحرك للدعوة فهى الآن كما قال علماؤنا فرض عين على كل مسلم ومسلمة وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ: «**بلغوا عنى ولو آية**» فكم تحفظ من الآيات وكم تعرف من الأحاديث؟!

وإن أعظم عمل نقدمه الآن للإسلام هو أن نشهد له شهادة عملية على أرض الواقع كما شهدنا له جميعاً من قبل شهادة قولية فإننا لن نعيد الإسلام من جديد بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة وإنما نعيده منهجاً للحياة فهل من مدكر؟!

نسأل الله العظيم أن يرد البشرية إلى الإسلام رداً جميلاً وأن يقر أعيننا بنصره الإسلام وعز الموحدين... الدعاء.

* * *

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٥٠) فى الإيمان، باب «كون النهى عن المنكر من الإيمان».

الفهـــرس

رقم الإيداع : ١٩٤٧ / ١٩٩٦ م



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ تلفاكس : ٤٠١٧٠٥٣